الدرر السنيه

في الرد على الوهابيه

جمعه شيخ الاسلام ومرجع الخاص والعام

سيدنا ومولانا السيد أحمد بن

زيني دحلان حفظه

الملك الرحمن

آمين

ويليه رسالة المصري في ذكر وقت صلاة

العصر له أيضا نفع الله بهما جميع

الانسان بجاه سيد ولد عدنان

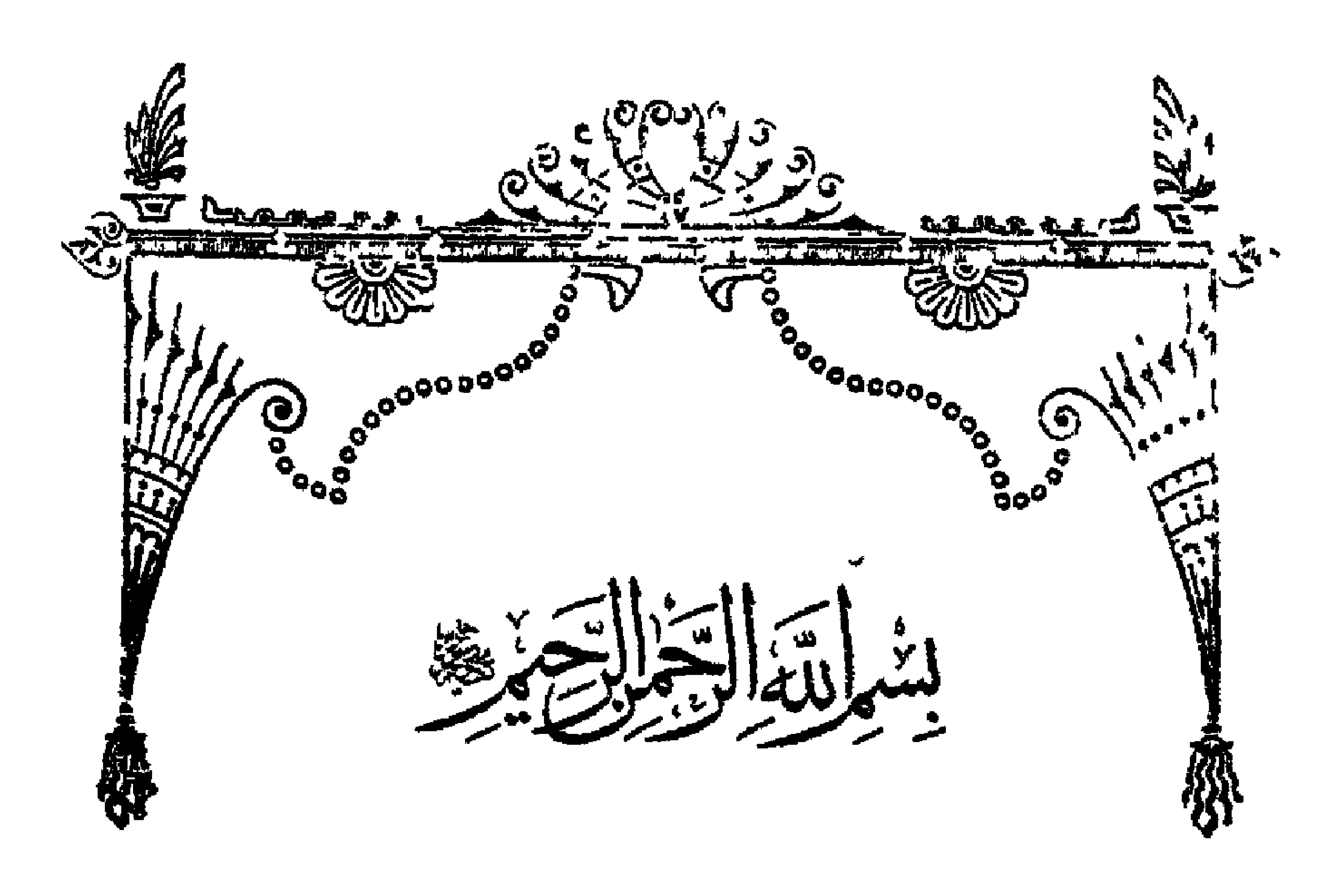
طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية

لاصحابها

عيسى البابي الحلبي وشركاه

بجوار سيدنا الحسين بمصر

(٢٥٧ — رمضان سنة ١٣٤٧)



الحمد لله الذي فضل سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم على سائر المخلوقات وشرف أمته على سائر الامم وأعلى لهم الدرجات وعلى آله وأصحابه المقتفين آثاره ومن تبعهم في جميع الحالات (أما بعد) فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المفتقر الى ربه المنان أحمد بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين قد سألني من لا تسعني مخالفته ان أجمع له ما تمسك به أهل السنة في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به من الدلائل والحجج القوية من الآيات والاحاديث النبوية وما ورد في ذلك عن السلف والعلماء والأئمة المجتهدين ليكون ذلك مبطلا لكلام المنكرين فجمعت له هذه الرسالة من كتب كثيرة واختصرتها غير مخل اختصار اعتمد على ما هو منصوص في كتب العلماء الاخيار فاستعين الله وأقول (اعلم) رحمك الله أن زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم مشروعة مطلوبة بالكتاب والسنة وإجماع الامة أما الكتاب فقوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما دلت الآية على حث الامة على المجيء اليه صلى الله عليه وسلم والاستغفار عنده واستغفاره لهم وهذا لا ينقطع بموته ودلت أيضا

على تعليق وجدانهم الله توابا رحيما بمجيئهم واستغفارهم واستغفار الرسول لهم
فاما استغفاره ﷺ فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات وصح فى صحيح مسلم أن بعض الصحابة فهم من الآيات ذلك
المعنى الذى دلت عليه هذه الآية فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم فقد تكملت الامور
الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته وسيأتى فى الاحاديث الآتية ما يدل على أن
استغفاره ﷺ لايتقيد بحال حياته وقد علم من كمال شفقته ﷺ أنه لايترك
ذلك لمن جاءه مستغفرا ربه سبحانه وتعالى والآية الكريمة وان وردت فى قوم
معينين فى حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف فى حال الحياة
وبعد الممات ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين واستحسنوا لمن أتى قبره ﷺ
أن يقرأها مستغفرا الله تعالى واستحبوها للزائر ورأوها من آدابه التى يسن له
فعلها وذكرها المصنفون فى المناسك من أهل المذاهب الاربعة ودلت الآية أيضا
على أنه لافرق فى الجائى بين أن يكون مجيئه بسفر وغير سفر لوقوع جاؤك فى حيز
الشرط الدال على العموم وقد قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم
يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ولاشك عند من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن
من خرج لزيارة رسول الله ﷺ يصدق عليه انه خرج مهاجرا الى الله ورسوله وسيأتى
من الاحاديث الدالة على أن زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته فى حياته وزيارته فى
حياته داخلة فى الآية الكريمة قطعا فكذا بعد وفاته بنص الحديث الشريفة
الآتية وأما السنة فما يأتى من الاحاديث وأما القياس فقد جاء نص فى السنة الصحيحة
المتفق عليها بالامر بزيارة القبور فقبر نبينا ﷺ منها أولى وأحرى وأحق وأعلى
بل لانسبة بينه وبين غيره وأيضا فقد ثبت أنه ﷺ زار أهل البقيع وشهداء أحد
فقبره الشريف أولى لما له من حق ووجوب التعظيم وليست زيارته ﷺ الا لتعظيمه
والتبرك به ولينالنا أثر عظيم الرحمة والبركة بصلاته وسلامه عليه ﷺ عند قبره

الشريف بحضرة الملائكة الحافين به ﷺ وأما اجماع المسلمين فقد قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم ﷺ قد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول الاجماع وانما الخلاف بينهم في أنها واجبة أو مندوبة فمن خالف في مشروعية الزيارة فقد خرق الاجماع واحتج القائلون بوجوب الزيارة بقوله ﷺ من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني رواه ابن عدي بسند يحتج به قال وجفاؤه ﷺ حرام فعدم زيارته المتضمن لجفائه حرام وأجاب الجمهور القائلون بندب الزيارة بان الجفاء من الامور النسبية فقد يقال في ترك المندوب انه جفاء اذ هو ترك البر والصلة ويطلق أيضا على غلظ الطبع والبعد عن الشيء فاكثر العلماء من الخلف والسلف على ندبها دون وجوبها وعلى كل من القولين فالزيارة ومقدماتها من نحو السفر من أهم القربات وأنجح المساعي ويدل لذلك أحاديث كثيرة صحيحة صريحة لا يشك فيها الا من انطمس نور بصيرته منها قوله ﷺ من زار قبري وجبت له شفاعتي وفي رواية حلت له شفاعتي رواه الدار قطني وكثير من أئمة الحديث وقد أطال الامام السبكي في كتابه المسمى شفاء السقام في زيارة قبر خير الانام في بيان طرق هذا الحديث وبين من صححه من الأئمة ثم ذكر روايات في أحاديث الزيارة كلها تؤيد هذا الحديث منها رواية من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وفي رواية من جاءني زائرا لا تهمه حاجة الا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفي رواية من جاءني زائرا كان له حق على الله عز وجل أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفي رواية [illegible] والدار قطني والطبراني والبيهقي وابن عساكر من حج فزار قبري وفي رواية فزارني بعد وفاتي عند قبري كان كمن زارني في حياتي وفي رواية من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي وفي رواية من زارني في المدينة كنت له شفيعا وشهيدا ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة رواه بهذه الزيادة أبو داود الطيالسي ثم ذكر أحاديث

كثيرة كلها تدل على مشروعية الزيارة لاحاجة لنا الى الاطالة بذكرها فتلك الاحاديث كلها مع ماذكرناه صريح محقق فى ندب بل تأكد زيارته ﷺ حيا وميتا للذكر والانثى وكذا زيارة بقية الانبياء والصالحين والشهداء والزيارة شاملة للسفر لانها تستدعى الانتقال من مكان الزائر الى مكان المزور كلفظ المجئ الذى نصت عليه الآية الكريمة واذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر اليها قربة وقد صح خروجه ﷺ لزيارة قبور أصحابه بالبقيع وبأحد فاذا ثبت مشروعية الانتقال لزيارة قبر غيره ﷺ فقبره الشريف أولى وأحرى والقاعدة المتفق عليها أن وسيلة القربة المتوقفة عليها قربة أى من حيث ايصالها اليها فلا ينافى أنه قد ينضم اليها محرم من جهة أخرى كمشى فى طريق مغصوب صريحة فى أن السفر للزيارة قربة مثلها ومن زعم أن الزيارة قربة فى حق القريب فقط فقد افترى على الشريعة الغراء فلا يعول عليه وأما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر اليها من باب المحافظة على التوحيد وأن ذلك مما يؤدى الى الشرك فهو تخيل باطل لان المؤدى الى الشرك انما هو اتخاذ القبور مساجد والعكوف عليها وتصوير الصور فيها كما ورد فى الاحاديث الصحيحة بخلاف الزيارة والسلام والدعاء وكل عاقل يعرف الفرق بينهما ويتحقق أن الزيارة اذا فعلت مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لاتؤدى الى محذور ألبتة وأن القائل بالمنع منها سدا للذريعة متقول على الله وعلى رسوله ﷺ وهنا أمران لابد منهما أحدهما وجوب تعظيم النبى ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق والثانى افراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة للبارى سبحانه وتعالى فى شئ من ذلك فقد أشرك ومن قصر بالرسول ﷺ عن شئ من مرتبته فقد عصى أو كفر ومن بالغ فى تعظيمه ﷺ بانواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالبارى سبحنه وتعالى فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذى لا افراط فيه ولا تفريط وأما قوله ﷺ لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام

ومسجدی هذا والمسجد الاقصى فمعناه أن لاتشد الرحال الى مسجد لاجل تعظيمه والصلاة فيه الاالى المساجد الثلاثة فانها تشد الرحال اليها لتعظيمها والصلاة فيها وهذا التقدير لابد منه ولو لم يكن التقدير هكذا لاقتضى منع شد الرحال للحج والجهاد والهجرة من دار الكفر ولطلب العلم وتجارة الدنيا وغير ذلك ولا يقول بذلك أحد قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم ومما يدل أيضا هذا التأويل للحديث المذكور التصريح به في حديث سنده حسن وهو قوله ﷺ لاينبغي للمطي أن تشد رحالها الى مسجد يبتغى الصلاة فيه غير المسجد الحرام ومسجدی هذا والمسجد الاقصى وبالجملة فالمسئلة واضحة جلية قد أفردت بالتأليف فلا حاجة الى الاطالة بأكثر من هذا فان من نور الله بصيرته يكتفي بأقل من هذا ومن طمس الله بصيرته فما تغني عنه الآيات والنذر * وأما التوسل فقد صح صدوره من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الامة وخلفها أما صدوره من النبي ﷺ فقد صح في احاديث كثيرة منها أنه ﷺ كان من دعائه اللهم انی أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل لاشك فيه وصح في أحاديث كثيرة أنه كان يأمر أصحابه أن يدعوا به منها مارواه ابن ماجه بسند صحيح عن أبي سعيد الخدری رضی الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم انی أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشای هذا فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذنی من النار وأن تغفر لی ذنوبي فانه لايغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك وذكر هذا الحديث الجلال السيوطي في الجامع الكبير وذكره أيضا كثير من الأئمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة حتى قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضا ابن السني باسناد صحيح عن بلال رضی الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ ولفظه كان رسول الله ﷺ اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت

بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فانى لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك أن تعيذنى من النار وأن تدخلنى الجنة ورواه الحافظ أبو نعيم فى عمل اليوم والليلة من حديث أبى سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال اللهم انى أسألك بحق السائلين الى آخر الحديث المتقدم ورواه البيهقى فى كتاب الدعوات من حديث أبى سعيد أيضا ومحل الاستدلال قوله أسألك بحق السائلين عليك فعلم من هذا كله أن التوسل صدر من النبى صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه أن يقولوه ولم يزل السلف من التابعين ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد فى الدعاء به ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل أنه كان يقول فى بعض أدعيته بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى قال العلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم رواه الطبرانى بسند جيد ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لامى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت ربت النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رأسها وقال رحمك الله يا أمى بعد أمى وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لامى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين وروى ابن أبى شيبة عن جابر رضى الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله عنهما ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ جلال الدين السيوطى فى الجمع الكبير ومن الاحاديث الصحيحة التى جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذى والنسائى والبيهقى والطبرانى باسناد صحيح عن

عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه أن رجلا ضريرا أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى اللهم شفعه فى فعاد وقد أبصر وفى رواية قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط ففى هذا الحديث التوسل والنداء أيضا وخرج هذا الحديث أيضا البخارى فى تاريخه وابن ماجه والحاكم فى المستدرك باسناد صحيح وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير والصغير وليس لمنكر التوسل أن يقول ان هذا انما كان فى حياة النبي ﷺ لان قوله ذلك غير مقبول لان هذا الدعاء استعمله الصحابة رضى الله عنهم والتابعون أيضا بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم فقد روى الطبرانى والبيهقى أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى زمن خلافته فى حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر اليه فى حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف الراوى للحديث المذكور فقال له ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتى وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان رضى الله عنه فأجلسه معه وقال له اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر لحاجتى حتى كلمته لى فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره فدل آخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته ﷺ وروى البيهقى وابن أبى شيبة باسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضى الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ الى قبر النبي ﷺ وقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام وأخبره أنهم يسقون وليس

الاستدلال بالرؤيا للنبي ﷺ فان رؤياه وان كانت حقا لاتثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائى لالشك فى الرؤيا وانما الاستدلال بفعل الصحابى وهو بلال ابن الحرث رضى الله عنه فاتيانه لقبر النبى ﷺ ونداؤه له وطلبه منه أن يستسقى لامته دليل على أن ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به ﷺ وذلك من أعظم القربات وقد توسل به ﷺ أبوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد ﷺ حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها وحديث توسل آدم عليه السلام بالنبى ﷺ رواه البيهقى باسناد صحيح فى كتابه المسمى دلائل النبوة الذى قال فيه الحافظ الذهبى عليك به فانه كله هدى ونور فرواه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لى فقال الله تعالىٰ يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب انك لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لااله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه الحاكم وصححه والطبرانى وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا التوسل أشار الامام مالك رضى الله عنه للخليفة المنصور وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبى ﷺ سأل الامام مالكا رضى الله عنه وهو بالمسجد النبوى فقال لمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو فقال له الامام مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ذكره القاضى عياض فى الشفاء وساقه باسناد صحيح وذكره الامام السبكى فى شفاء السقام والسيد السمهودى فى خلاصة الوفاء والعلامة القسطلانى فى المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم وذكره كثير من أرباب المناسك فى آداب الزيارة قال العلامة ابن حجر فى

الجوهر المنظم روايةذلك عن مالك جاءت بالسند الصحيح الذى لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضى عياض فى الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس فى اسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مالك مردودة وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات ان من جملة تلك الكلمات توسل آدم بالنبى ﷺ حين قال يارب أسألك بحرمة محمد الا ماغفرت لى واستسقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى ﷺ لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور فى صحيح البخارى من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه وذلك من التوسل وفى المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى أن عمر رضى الله عنه لما استسقى بالعباس رضى الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به فى عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان التوسل بالاحياء أو بالاموات وقول من منع ذلك بغير النبى ﷺ ونص اللفظ الواقع من عمر رضى الله عنه حين استسقى بالعباس رضى الله عنه اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا ﷺ فاسقنا والحديث مذكور فى صحيح البخارى من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه وصدر الحديث عن أنس رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون انتهى وفعل عمر رضى الله عنه حجة لقوله ﷺ ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الامام أحمد والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما ورواه الامام أحمد أيضا وأبو داود والحاكم فى المستدرك عن أبى ذر رضى الله عنه ورواه أبو يعلى والحاكم فى مستدركه أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه ورواه الطبرانى فى الكبير

عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا مثل ماصح في حق علي رضي الله عنه حيث قال ﷺ في حقه وأدر الحق معه حيث دار وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق معهما حيثما كانا وهذان الحديثان من جملة الادلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الاربعة لان عليا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءت الخلافة له ونازعه غيره ممن لايستحق التقدم عليه قاتله ومن الادلة على أن توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما حجة على جواز التوسل قوله ﷺ لو كان بعدي نبي لكان عمر رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن مالك رضي الله عنه روى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه ولم يستسق بالنبي ﷺ ليبين للناس جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ وأن ذلك لاحرج فيه واما الاستسقاء بالنبي ﷺ فكان معلوما عندهم فربما ان بعض الناس يتوهم انه لايجوز الاستسقاء بغير النبي ﷺ فبين لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز ولو استسقى بالنبي ﷺ لربما يفهم منه بعض الناس انه لايجوز الاستسقاء بغيره ﷺ وليس لقائل أن يقول انما استسقى بالعباس لانه حي والنبي ﷺ قدمات وأن الاستسقاء بغير الحي لايجوز لانا نقول ان هذا توهم باطل ومردود بادلة كثيرة منها توسل الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ بعد وفاته كما تقدم في قصة التي رواها عثمان بن حنيف في الحاجة التي كانت للرجل عند عثمان بن عفان رضي الله عنه وكما في حديث بلال بن الحرث رضي الله عنه وكما في توسل آدم بالنبي ﷺ قبل وجوده

وحديث توسل آدم رواه عمر رضي الله عنه كما تقدم فكيف يتوهم أنه لا يعتقد صحته بعد وفاته وقد روي التوسل به قبل وجوده مع أنه ﷺ حي في قبره فتلخص من هذا أنه يصح التوسل به ﷺ قبل وجوده وفي حياته وبعد وفاته وأنه يصح أيضا التوسل بغيره من الاخيار كما فعله عمر حين استسقى بالعباس رضي الله عنهما وذلك من أنواع التوسل كما تقدم وانما خص عمر العباس رضي الله عنهما من بين سائر الصحابة رضي الله عنهم لاظهار شرف أهل بيت رسول الله ﷺ ولبيان أنه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضي الله عنه كان موجودا وهو أفضل من العباس رضي الله عنه قال بعض العارفين وفي توسل عمر بالعبس رضي الله عنهما دون النبي ﷺ نكتة أخرى أيضا زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين فانه لو استسقى بالنبي ﷺ لربما استأخرت الاجابة لانها معلقة بارادة الله تعالى ومشيئته فلو تأخرت الاجابة ربما تقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبي ﷺ فانها لو تأخرت الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة ولا ذلك الاضطراب والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لانا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا خلقا ولا ايجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لا شريك له ولا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي ﷺ ولا لغيره من الاحياء والاموات فلا فرق في التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء وأمواتا لانهم لا يخلقون شيأ وليس لهم تأثير في شيء وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى والخلق والايجاد والاعدام والنفع والضر فانه لله وحده لا شريك له وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات فانهم بذلك الفرق يتوهم منهم أنهم يعتقدون التأثير

للاحياء دون الاموات ونحن نقول الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات هم المعتقدون تأثير غير الله وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فكيف يدعون أنهم محافظون على التوحيد وينسبون غيرهم الى الاشراك سبحانك هذا بهتان عظيم فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنون معنى الا التبرك بذكر أحباء الله تعالى لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وذكر هؤلاء الاخيار سبب عادي في ذلك التأثير وذلك مثل الكسب العادي فانه لا تأثير له وحياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ثابتة عند أهل السنة بأدلة كثيرة منها حديث مررت على موسى ليلة أسري بي يصلي في قبره ومثله مررت على ابراهيم فامرني بتبليغ أمتي السلام وأن أخبرهم أن الجنة طيبة التربة وأنها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ومثل حديث اجتماعهم لما صلى بهم في بيت المقدس ليلة أسري به ثم تلقوه في السموات وحديث تردد النبي صلى الله عليه وسلم بين موسى ومقام مكالمته ربه لما فرض عليه خمسين صلاة فامره موسى بالمراجعة وحديث ان الانبياء يحجون ويلبون وكل هذه الاحاديث الصحيحة لا مطعن فيها لطاعن فلا حاجة الى الاطالة بذكرها وأيضا فقد ثبت بنص القرآن حياة الشهداء والانبياء أفضل من الشهداء فالحياة لهم ثابتة بالاولى ثم ان الحياة الثابتة للانبياء عليهم الصلاة والسلام وللشهداء ليست مثل الحياة الدنيوية بل هي حياة تشبه حال الملائكة ولا يعلم صفتها وحقيقتها الا الله تعالى فيجب علينا الايمان بثبوتها من غير بحث عن صفتها وكيفيتها واذا كان الامر كذلك فلا ينافي أن كلا منهم قد مات وانتقل من الحياة الدنيوية بمعنى أنه زالت عنه الحياة التي كانت في دار الدنيا وثبتت لهم حياة أخرى ولا اشكال في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون والكلام على ذلك مبسوط في المطولات فلا حاجة لنا الى الاطالة بذكره فان قال قائل ان شبهة هؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يأتون بالفاظ

توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى و يطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بانها لا تطلب الامن الله تعالى و يقولون للولى افعل لى كذا وكذا وأنهم ربما يعتقدون الولاية فى أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة و ينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات وليسوا باهل لها ولم يوجد فيهم شئ منها فاراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون أن العامة لا يعتقدون تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ولا يقصدون بالتوسل الا التبرك ولو أسندوا للاولياء شيأ لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم اذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى وتأمروهم بسلوك الادب فى التوسل مع أن تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج الى التكفير للمسلمين وذلك المجاز مجاز عقلى شائع معروف عند أهل العلم ومستعمل على ألسنة جميع المسلمين ووارد فى الكتاب والسنة وعليه يحمل قول القائل هذا الطعام أشبعنى وهذا الماء أروانى وهذا الدواء شفانى وهذا الطبيب نفعنى فكل ذلك عند أهل السنة محمول على المجاز العقلى فان الطعام لا يشبع حقيقة والمشبع حقيقة هو الله تعالى والطعام سبب عادى فاسناد الشبع له مجاز عقلى والطعام سبب عادى لا تأثير له وهكذا بقية الامثلة فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلى والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز كما نص على ذلك علماء المعانى فى كتبهم وأجمعوا عليه وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته فى الاحاديث الصحيحة وصدوره من النبى ﷺ وأصحابه وسلف الامة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله محرما ومنهم من يجعله كفرا وإشراكا وكل ذلك باطل لانه يؤدى الى اجتماع معظم الامة على ضلالة ومن تتبع كلام

الصحابة وعلماء الامة سلفها وخلفها يجد التوسل صادرا منهم بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع أكثر الامة على محرم أو كفر لايجوز لقوله ﷺ في الحديث الصحيح لاتجتمع أمتي على ضلالة قال بعضهم ان هذا حديث متواتر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس فاللائق بهؤلاء المنكرين اذا أرادوا سد الذريعة ومنع الناس من الالفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى أن يقولوا ينبغي أن يكون التوسل بالادب و بالالفاظ التي ليس فيها ايهام كان يقول المتوسل اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك ﷺ و بالانبياء قبله و بعباده الصالحين أن تفعل بي كذا وكذا لا أنهم يمنعون من التوسل ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لايعتقدون التأثير الا الله وحده لاشريك له ومن الشبه التي تمسك بها هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فان الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي ﷺ بمثل مايخاطب بعضهم بعضا كان ينادوه باسمه وقياسا على ذلك يقال لاينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التي جرت العادة بانها لاتطلب الا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطلب من الله على أنه الموجد للشيء والمؤثر فيه ومن غيره على أنه سبب عادي لكنه ربما يوهم التأثير فالمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام والجواب أن هذا لايقتضي المنع من التوسل مطلقا ولا يقتضي منع الطلب من موحد فانه يحمل على المجاز العقلي اذا صدر من موحد فلا وجه لكونه شركا ولا لكونه محرما فلو قالوا ان ذلك خلاف الادب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه أن يكون بادب والاحتراز عن الالفاظ الموهمة لكان له وجه وأما المنع مطلقا فلا وجه له قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم ولا فرق في التوسل بين أن يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لان التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى

منه جاها والاستغاثة معناها طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به ﷺ و بغيره ليس لهما معنى فى قلوب المسلمين الا طلب الغوث حقيقة من الله تعالى ومجازا بالتسبب العادى من غيره ولا يقصد أحد من المسلمين غير ذلك المعنى فمن لم ينشرح لذلك صدره فليبك على نفسه نسأل الله العافية فالمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى وأما النبى ﷺ فهو واسطة بينه و بين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه بالخلق والايجاد والنبى ﷺ مستغاث به مجازا والغوث منه بالكسب والتسبب العادى باعتبار توجهه وتشفعه عند الله لعلو منزلته وقدره فهو على حد قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أى وما رميت خلقا وايجادا اذ رميت تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وكذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله ﷺ ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم وكثيرا ما تجئ السنة لبيان الحقيقة ويجئ القرآن الكريم باضافة الفعل لمكتسبه ويسند اليه مجازا كقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقوله ﷺ لن يدخل أحدكم الجنة بعمله فالآية بيان للسبب العادى والحديث لبيان سبب فعل الفاعل الحقيقى وهو فضل الله تعالى و بالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فاذا قلت أغثنى يا ألله تريد الاسناد الحقيقى باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت أغثنى يا رسول الله تريد الاسناد المجازى باعتبار التسبب والكسب والتوسط بالشفاعة ولو تتبعت كلام الأئمة وسلف الامة وخلفهما لوجدت شيأ كثيرا من ذلك بل فى الاحاديث الصحيحة كثير من ذلك ومنه ما فى صحيح البخارى فى مبحث حشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فتأمل تعبيره ﷺ بقوله استغاثوا بآدم فان الاستغاثة به مجازية والمستغاث به حقيقة هو الله تعالى وصح عنه ﷺ لمن أراد عونا أن يقول يا عباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى وجاء فى حديث قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه بل صار يقول يا أرض خذيه فعاتب الله موسى حيث لم يغثه

وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لاغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقي واسنادها الى موسى مجازي وقد يكون معنى التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه اذ هو ﷺ حي في قبره يعلم سؤال من يسأله وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضي الله عنه المذكور فيه أنه جاء الى قبره ﷺ وقال يا رسول الله استسق لامتك أي ادع الله لهم فعلم منه أنه ﷺ يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عز وجل وأنه ﷺ يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عرصات القيامة فيشفع الى ربه وكل هذا مما تواترت به الاخبار وقام به الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو ﷺ له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه وأما تخيل المانعين المحرومين من بركاته أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وأن التوسل والزيارة مما يؤدي الى الشرك فهو تخيل فاسد باطل فالتوسل والزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي الى محذور البتة والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقول على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وكأن هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي ﷺ فحيثما صدر من أحد تعظيم له ﷺ حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبي ﷺ في القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا ان لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ورحم الله الابوصيري حيث قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظمهم الله تعالى كالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم وعليه أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى

القلوب وقال تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن تعظيمه ﷺ الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد والقيام عند ذكر ولادته ﷺ واطعام الطعام وغير ذلك مما يعتاد الناس فعله من أنواع البر فان ذلك كله من تعظيمه ﷺ وقد أفردت مسئلة المولد وما يتعلق بها بالتأليف واعتنى بذلك كثير من العلماء فالفوا فى ذلك مصنفات مشحونة بالادلة والبراهين فلا حاجة لنا الى الاطالة بذلك ومما أمر الله بتعظيمه الكعبة المعظمة والحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام فانها أحجار وأمرنا الله بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليمانى وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم والميزاب كما جرى على ذلك السلف والخلف وكلهم فى ذلك لا يعبدون الا الله ولا يعتقدون تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا الا ان ذلك لا يكون الا لله وحده ولا يكون لاحد سواه والحاصل كما تقدم أن هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر المخلوقات والثانى افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وافعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة البارى سبحانه وتعالى فى شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام واستحقاقها للعبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم فى شيء عن مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ فى تعظيمه بانواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الربوبية فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذى لا افراط فيه ولا تفريط واذا وجد فى كلام المؤمنين اسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلى ولا سبيل الى تكفير أحد من المؤمنين اذ المجاز العقلى مستعمل فى الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسند الزيادة الى الآيات مجاز عقلى وهى سبب عادى للزيادة والذى يزيد فى الايمان حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسند الجعل الى اليوم مجاز عقلى لان اليوم محل

لجعلهم شيئا فالجعل المذكور واقع في اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى
وحده وقوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فاسناد
الاضلال الى الاصنام مجاز عقلي لانها سبب في حصول الاضلال والهادي
والمضل حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له وقوله تعالى حكاية عن فرعون ياهامان
ابن لي صرحا فاسناد البناء الى هامان مجاز عقلي لانه سبب آمر فهو يأمر بذلك ولا يبني
بنفسه والذي يبني انما هم الفعلة واما الاحاديث النبوية ففيها من المجاز العقلي شيء كثير
يعرف ذلك من وقف عليه من ذلك الحديث المتقدم بينما هم كذلك استغاثوا بآدم فاغاثه
آدم عليه السلام مجازية والمغيث حقيقة هو الله تعالى واما كلام العرب ففيه من المجاز العقلي
مالا يحصى كقولهم أنبت الربيع البقل فجعلوا الربيع وهو المطر منبتا والمنبت حقيقة هو
الله تعالى فاسناد الانبات الى الربيع مجاز عقلي فاذا قال العامي من المسلمين نفعني النبي
صلى الله عليه وسلم أو أغاثني أو نحو ذلك فانما يريد الاسناد المجازي والقرينة على ذلك
أنه مسلم موحد لا يعتقد التأثير الا لله فجعلهم ذلك وامثاله من الشرك جهل محض وتلبيس
على عوام الموحدين وقد اتفق العلماء على انه اذا صدر مثل هذا الاسناد من موحد فانه
يحمل على المجاز والتوحيد يكفي قرينة لذلك لان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أهل
السنة والجماعة واعتقادهم أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله تعالى لا تأثير لاحد سواه
لا للحي ولا للميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه يقع
في الاشراك وأما الفرق بين الحي والميت كما يفهم من كلام هؤلاء المتعنتين المتوسعين فان
كلامهم يفيد أنهم يعتقدون أن الحي يقدر على بعض الاشياء دون الميت فكأنهم
يعتقدون أن العبد يخلق أفعال نفسه فهو مذهب [illegible] والدليل على ان هذا هو معتقدهم
أنهم يقولون اذا نودي الحي وطلب منه ما يقدر عليه فلا ضرر في ذلك وأما الميت فانه لا
يقدر على شيء أصلا وأما أهل السنة فانهم يقولون الحي لا يقدر على شيء كما أن الميت
كذلك لا يقدر والقادر حقيقة هو الله تعالى والعبد ليس له الا الكسب الظاهري باعتبار
الحي والكسب [illegible] باعتبار التبرك بذاته كرسم النبي صلى الله عليه وسلم

وغيره من الاخيار وتشفعهم فى ذلك والخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده
لا شريك له وقد تقدم كثير من الدلائل الدالة على على صحة التوسل ولا باس
بالحق ادلة تدل على ذلك زيادة على ما تقدم ذكر العلامة السيد السمهودى
فى خلاصة الوفاء ان من الادلة الدالة على صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه
وسلم بعد وفاته ما رواه الدارمى فى صحيحه عن أبى الجوزاء قال قحط أهل المدينة
قحطا شديدا فشكوا الى عائشة رضى الله عنها فقالت انظروا الى قبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين
السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من
الشحم فسمى عام الفتق قال العلامة المراغى وفتح الكوة عند الجدب سنة
أهل المدينة يفتحون كوة فى أسفل قبة الحجرة المطهرة وان كان السقف حائلا
بين القبر الشريف والسماء قال السيد السمهودى بعد كلام المراغى وسنتهم
اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف ويجتمعون هناك وليس القصد
الا التوسل بالنبي ﷺ والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله وقال أيضا فى خلاصة
الوفاء ان التوسل والتشفع به ﷺ وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف
الصالحين اه وذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة فى كتب المناسك عند ذكرهم
زيارة النبي ﷺ انه يسن للزائر ان يستقبل القبر الشريف ويتوسل به الى الله تعالى
فى غفران ذنوبه وقضاء حاجاته ويستشفع به ﷺ قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء
عن العتبى وهو مروى ايضا عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشايخ الامام الشافعى
قال العتبى كنت جالسا عند قبر رسول ﷺ فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول
الله سمعت الله يقول وفى رواية يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد
جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى وفى رواية وانى جئتك مستغفرا ربك
عز وجل من ذنوبى ثم بكى وانشأ يقول

ياخير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبي ثم استغفر الأعرابي وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال ياعتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لاتثبت بها الاحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي كما تقدم ذلك وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا الاتيان بما تقدم ذكره وذكروا في مناسكهم استحباب الاتيان به للزائر وليس في قولهم و في رواية كذا وفي رواية كذا منافاة لاحتمال ان الراوي حكى ذلك بالمعنى فمرة عبر بقوله ياخير الرسل ومرة عبر بقوله ياسول الله وعلى ذلك يحمل أمثال هذا وقال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني انه روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه انهم بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم اعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال ياسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ماوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك قوله تعالى ولو أنهم اذظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرا الى ربي فنودي من القبر الشريف انه قد غفر لك وجاء مثل ذلك عن علي رضي الله عنه من طريق أخرى فهي تؤيد رواية السمعاني ويؤيد ذلك أيضا ماصح عنه ﷺ من قوله حياتي خير لكم تحدثون ونحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي اعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله تعالى وما رأيت من شر استغفرت لكم ويؤيد ذلك أيضا ماذكره العلماء في آداب الزيارة من أنه يستحب أن يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف ويسأل الله تعالى أن يجعلها توبة نصوحا ويستشفع به ﷺ الى ربه عز وجل في قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ويقول نحن وفدك ياسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك وللتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما

اثقل ظهورنا واظلم قلوبنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا في زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين وفي الجوهر المنظم أيضا ان اعرابيا وقف على القبر الشريف وقال اللهم ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لى سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لى غضب حبيبك ورضى عدوك وهلك عبدك وأنت يارب أكرم من ان تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فاعتقنى على قبره يا ارحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال وذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة واما ما نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ان استقبال القبلة أفضل فهذا النقل غير صحيح فقد روى الامام أبو حنيفة نفسه فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل ظهره للقبلة وسبق ابن الهمام فى النص على ذلك العلامة ابن جماعة فانه نقل استحباب استقبال القبر عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ورد على الكرمانى فى انه يستقبل القبلة فقال انه ليس بشئ ثم قال فى الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر أيضا بانهم متفقون على انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يعلم بزائره وهو صلى الله عليه وسلم لما كان فى الدنيا لم يسع زائره الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته فى قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وأيضا تقدم فى المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعا وقد تقدم قول الامام مالك للخليفة المنصور وهو لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله بل استقبله واستشفع به وقال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبر القبلة ثم نقل عن مذهب الامام أبى حنيفة والشافعى

والجمهور مثل ذلك وأما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم استحباب استقبال القبر الشريف كبقية المذاهب وكذا القول في التوسل فان المرجح عند المحققين منهم استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة وقد أطال الامام السبكي في شفاء السقام في نقل نصوص أهل المذاهب الاربعة في ذلك وذكر الشيخ طاهر سنبل في رسالة له في ذلك ان ممن ذكر ذلك من علماء الحنابلة الامام أبو عبد الله السامري في المستوعب ورفعت فتوى لمفتي الحنابلة بمكة الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد في هذه المسئلة فاجاب بان الراجح عند الحنابلة استقبال القبر الشريف عند الدعاء واستحباب التوسل قال وذلك مذكور في كثير من كتب المذهب المعتمدة منها شرح مناسك المقنع للامام شمس الدين بن مفلح صاحب الفروع ومنها شرح الاقناع لمحرر المذهب الشيخ منصور البهوتي ومنها شرح غاية المنتهى ومنها مسالك الشيخ سليمان بن علي جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة وكثير من المؤلفين في المذهب ذكروا ذلك قال وبعض هؤلاء ذكروا أيضا قصة العتبي المشهورة وانشاد الاعرابي يا خير من دفنت بالقاع اعظمه الى آخرها وأما الحديث الذي فيه اللهم اني أسألك وأتوجه اليك الى آخره فهو حديث أخرجه الترمذي وصححه وأخرجه النسائي والبيهقي أيضا وصححه ثم قال المفتي المذكور اذا تحقق ذلك علمنا ان المعتمد عند الحنابلة هو ماذكرناه أعني استحباب استقبال القبر عند الدعاء واستحباب التوسل والمنكر لذلك جاهل بمذهب الامام أحمد اهـ وأما ماذكره الالوسي في تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه انه منع التوسل فهو نقل غير صحيح اذ لم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه وهم أدرى به بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك أن تغتر به وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني وقف أعرابي على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع المؤمنين اذهب فقد أعتقتك ثم أنشد القسطلاني أحد

البيتين المشهورين وأنشد شارحه الزرقاني البيت الآخر وهما

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت ياسيدي أولى بذا كرما * قد شبت في الرق فاعتقني من النار

ثم قال في المواهب وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره ﷺ فقال يارب انا زرنا قبر نبيك ﷺ فلا تردنا خائبين فنودي ياهذا ما أذنالك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يافلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره الاولى ان يقول صلى الله عليك يارسول الله بدل قوله يامحمد للنهي عن ندائه باسمه حيا وميتا وابن ابي فديك من اتباع التابعين وكان من الأئمة الثقات المشهورين وهو من المروي عنه في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن قال الزرقاني في شرح المواهب اسمه محمد بن اسمعيل بن مسلم الديلمي مات سنة مائتين وهذا الذي نقله من المواهب عن ابن أبي فديك رواه عنه أيضا البيهقي وفي شرح المواهب للزرقاني ان الداعي اذا قال اللهم اني استشفع اليك بنبيك يانبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبي ﷺ وأصحابه وسلف الامة وخلفها ان التوسل به ﷺ وزيارته وطلب الشفاعة منه بتعظيمهم قطعا بلا شك ولا مرية رأوها من اعظم القربات وان التوسل به وقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته وسيكون التوسل به أيضا بعد البعث في عرصات القيامة قال في المواهب ورحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعا * ونجي في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره * ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ أبي عبد الله ابن النعمان

مايشفي الغليل من ذلك ثم ذكر في المواهب كثيرا من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي ﷺ وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن أعرابيا جاء الى النبي ﷺ يستسقي به وأنشد أبياتا أولها

أتيناك والعذراء يدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

الى ان قال

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأنى فرار الخلق الا الى الرسل

فلم ينكر عليه ﷺ هذا البيت بل قال أنس لما أنشد الاعرابي الابيات قام ﷺ يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وفي صحيح البخاري أنه لما جاء الاعرابي وشكى للنبي ﷺ القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال ﷺ لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يارسول الله كأنك أردت قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبي ﷺ ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان ذلك حراما أو شركا لأنكره ولم يطلب انشاده وكان سبب انشاء أبي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبي ﷺ ان قريشا في الجاهلية أصابهم قحط فاستسقى لهم أبو طالب وتوسل بالنبي ﷺ وكان صغيرا فاغدق عليهم السحاب بالمطر فانشأ أبو طالب تلك القصيدة وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك ان يؤمنوا به ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن قال في الجوهر المنظم فاذا كان له ﷺ هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا يستسقوا باهل بيت نبيهم فعلم بذلك ان التوسل مشروع حتى في الامم السابقة وقال السيد السمهودي في خلاصة الوفاء ان العادة جرت ان من

توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لاجله ويقضى حاجته وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو اعلى منه واذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما فى صحيح البخارى فى حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فاطبق عليهم ذلك الغار فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بارجى عمل له فانفرجت الصخرة التى سدت الغار عنهم فالتوسل به ﷺ حق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك فى حياته أو بعد وفاته فالمؤمن اذا توسل به انما يريد بنبوته التى جمعت الكمالات وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون يجوز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى فان عمر رضى الله عنه توسل بالعباس رضى الله عنه وأيضا لو سلمنا ذلك نقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبى ﷺ باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التى فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح فى الحال والمآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك ومثله سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الاولياء وعباد الله الصالحين لما فيهم من الطهارة القدسية والمحبة الربانية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين من رب العالمين وذلك بسبب كونهم من عباد الله المقربين فيقضى الله سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين وينبغى أن يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتنب الالفاظ التى توهم التأثير لغير الله تعالى ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التى رواها الطبرانى فى الكبير وفيها ان سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدته التى فيها التوسل ولم ينكر عليه ومنها قوله

وأشهد أن الله لارب غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل * وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لى شفيعا وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضى الله عنها عمة رسول الله ﷺ فانها رثته بعد وفاته ﷺ بابيات فيها قولها

ألا يارسول الله أنت رجاؤنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها أنت رجاؤنا وسمع تلك المرثية الصحابة رضى الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها يارسول الله أنت رجاؤنا قال العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالخيرات الحسان فى مناقب الامام أبى حنيفة النعمان فى الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعى أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبى حنيفة رضى الله عنه يجئ الى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به فى قضاء حاجاته وقد ثبت أيضا أن الامام أحمد توسل بالامام الشافعى رضى الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله ابن الامام أحمد فقال له الامام احمد ان الشافعى كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعى أن أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم وقال الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من كانت له الى الله حاجة وأراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالى وذكر العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاخوان الضلال والزندقة أن الامام الشافعى رضى الله عنه توسل باهل البيت النبوى حيث قال

آل النبى ذريعتى * وهم اليه وسيلتى
أرجو بهم أعطى غدا * بيدى اليمين صحيفتى

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم العلوى فى كتابه المسمى مجمع الاحباب فى ترجمة الامام أبى عيسى الترمذى صاحب السنن أنه رأى فى المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الايمان حتى يتوفاه عليه قال فقال لى قل بعد صلاة ركعتى الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهى بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجنى من الغم الذى

آنا فيه ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يالله يالله يالله ياأرحم الراحمين فكان الامام الترمذي يقول ذلك دائما بعد صلاة سنة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على فعله وعلى المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لم فعله هذا الامام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعني التوسل لم ينكره أحد قط من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون وفي الاذكار للامام النووي أن النبي ﷺ أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد ﷺ أجرني من النار قال العلامة ابن علان في شرح الاذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء والا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات فافهم ذلك أنه من التوسل المشروع وفي شرح حزب البحر للامام زروق قال بعد ذكر كثير من الاخيار اللهم انا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك ياأرحم الراحمين ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي وسري وسريرتي قال بعض العارفين وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وان من ذكره عند الاكتحال نور الله بصره وذلك من الاسباب العادية وهي لاتأثير لها ومؤثر هو الله تعالى وحده لاشريك له فكما أن الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري لاتأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وحده وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات جعل أيضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله تعالى وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات فليس في ذلك كفر ولا اشراك ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجد فيها شيئا كثيرا في التوسل ولم ينكر عليهم أحد في ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون ولو تتبعنا ما وقع من الأكابر في التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية ومقنع لمن

كان بمرأى من التوفيق ومسمع وانما اطلت الكلام فى ذلك ليتضح الامر لمن كان متشككا فيه غاية الاتضاح لان كثيرا من المنكرين للتوسل يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى معتقدهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها ويقيم عليهم الحجة فى ابطالها فعليك باتباع الجمهور والسواد الاعظم والا كنت مشاقق الله ورسوله ومتبعا غير سبيل المؤمنين وقد قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقال رسول الله ﷺ عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وقال ﷺ من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد ذكر العلامة ابن الجوزى فى كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة فى التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه خطب فى الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وحديث عرفجة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة وحديث اسامة بن شريك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ الشاة الشاذة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد وحديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين واربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع أمتى الا على هدى فهؤلاء منكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الاعظم وحملوا آيات كثيرة من آيات القرآن التى نزلت فى المشركين

فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد علمت أن المشركين اعتقدوا ألوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة واما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ان الله تعالى قد قال في كتابه العزيز من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالطالب للشفاعة لا يعلم حصول الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم في أنه يشفع له فكيف يطلب منه الشفاعة ولا يعلم أنه ممن ارتضى فكيف يطلب الشفاعة واحتجاجهم هذا مردود وباطل بالاحاديث الصحيحة الصريحة في حصول الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم بالشفاعة للمؤمنين وقد صحت الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم يشفع لمن قال بعد الاذان المهرب هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولمن زار قبره صلى الله عليه وسلم وجاءت أحاديث كثيرة في أعمال من عملها حلت له الشفاعة ولو ذكرناها لطال الكلام وجاءت أحاديث صريحة في شفاعته لعصاة أمته كقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى أن كل من مات مؤمنا كان ممن ارتضى فيدخل في شفاعته صلى الله عليه وسلم فثبت بهذا كله أن الشفاعة ثابتة ومأذون للنبي صلى الله عليه وسلم فيها لكل من مات مؤمنا فالطالب للشفاعة كأنه يتوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يحفظ عليه الايمان الى أن يتوفاه ثابتا عليه فيدخل في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ويكون من أهلها وهذا كله ظاهر لا يخفى الا على من انطمست بصيرته والعياذ بالله تعالى ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع نداء الميت والجماد ويقولون ان ذلك كفر واشراك وعبادة لغير الله تعالى وهذا أيضا باطل ومردود ولا مستند لهم فيه وشبهتهم التي يتمسكون بها أنهم

يزعمون أن النداء دعاء وكل دعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيرا من الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين الذين يصدر منهم النداء المذكور وهذا تلبيس في الدين توصلوا به الى تضليل كثير من الموحدين وحاصل الرد عليهم أن النداء قد يسمى دعاء كما في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لكنه لا يسمى عبادة فليس كل دعاء عبادة ولو كان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة لشمل ذلك نداء الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا سواء كان للاحياء والاموات أم للحيوانات والجمادات وليس الامر كذلك وانما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته واستحقاقه للعبادة فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه فالذي يوقع في الاشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله تعالى أو اعتقاد التأثير لغير الله تعالى وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته وتأثيره أو استحقاقه للعبادة فانه ليس عبادة ولو كان ميتا أو غائبا أو جمادا وقد ورد في أحاديث كثيرة نداء الاموات والجمادات فقولهم كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ولو كان الامر كذلك لامتنع نداء الحي والميت فانهما مستويان في أن كلا منهما لا تأثير له في شيء ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير أحد سوى الله تعالى فان قالوا ان نداء الحي والطالب منه لشيء من الاشياء انما هو لكونه قادرا على فعل ذلك الشيء الذي طلب منه وأما الميت واجد فانه عاجز ولا قدرة له على فعل شيء من الاشياء فنقول لهم اعتقادكم أن الحي قادر على بعض الاشياء يستلزم اعتقادكم أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية وهو معتقد المعتزلة ومذهب باطل فان اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لمعبود وأفعالهم هو الله وحده لا شريك له والعبد ليس له الا الكسب كما هو ظاهر في قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى الله خالق كل شيء فيستوي الحي والميت والجماد في أن كلا منهم لا خلق له ولا تأثير والمؤثر هو الله تعالى وحده فالذي يقدح في التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله أو اعتقاد الالوهية واستحقاق العبادة لغير الله وأما مجرد النداء من غير اعتقاد

شيء من ذلك فلا ضرر فيه والاحاديث التى ورد فيها النداء للاموات والجمادات من غير اعتقاد الالوهية والتأثير كثيرة منها حديث الاعمى الذى تقدمت روايته عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه فان فيه يا محمد انى أتوجه بك الى ربك وتقدم أن الصحابة رضى الله عنهم استعملوا ذلك الدعاء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وحديث بلال ابن الحرث المتقدم أيضا فان فيه انه جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك ففيه النداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم والخطاب بالطلب منه أن يستسقى لامته ومن ذلك الاحاديث الواردة فى زيارة القبور فان فى كثير منها النداء والخطاب كقوله السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ففيها نداء وخطاب وهى أحاديث كثيرة لا حاجة الى الاطالة بذكرها وتقدم أن السلف والخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف يا رسول الله انى جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى وقد جاءت صورة النداء أيضا فى التشهد الذى يقرؤه الانسان فى كل صلاة حيث يقول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وصح عن بلال بن الحرث رضى الله عنه أنه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وامحمداه وامحمداه وصح أيضا ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وامحمداه وامحمداه وفى الشفاء للقاضى عياض ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خدلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك فقال وامحمداه فانطلقت رجله وجاء الخطاب والنداء للجمادات فى أحاديث كثيرة منها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل أرضا قال يا أرض ربى وربك الله فهذا نداء وخطاب للجماد ولا كفر ولا شرك فيه فليس فيه اعتقاد الوهية واستحقاق عبادة ولا اعتقاد تأثير لغير الله تعالى وقد ذكر الفقهاء فى آداب السفر ان المسافر اذا انفلتت دابته بارض ليس

بها أنيس فليقل ياعباد الله احبسوا واذا أضل شيأ وأراد عونا فليقل ياعباد الله اعينوني أواغيثوني فان لله عبادا لانراهم واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد ياعباد الله احبسوا فان لله عبادا يجيبونه ففيه نداء وطلب نفع أي التسبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم وفي حديث آخر رواه الطبراني انه ﷺ قال اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل ياعباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني فان لله عبادا لاترونهم قال العلامة ابن حجر في حاشيته على ايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوي للحديث المذكور وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول ﷺ اذا سافر فاقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر ماخلق فيك وشر مايدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ومن والد وما ولد ذكر الفقهاء انه يسن للمسافر الاتيان بهذا الدعاء عند اقبال الليل وفيه النداء والخطاب للجماد وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه ﷺ كان اذا رأى الهلال قال ربي وربك الله ففيه خطاب للجماد وصح أنه لما توفي ﷺ أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله ﷺ فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بأبي وأمي طبت حيا وميتا ذكره محمد بن سعد ولكن من باب كذا في رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم قبلها ثانيا وقال واصفياه ثم قبلها ثالثا وقال واخليلاه ففي ذلك نداء وخطاب له ﷺ بعد وفاته وما تحقق عن عمر رضي الله عنه وفاته ﷺ بقول أبي بكر رضي الله عنه قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم حن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم

بابى أنت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بابى أنت وأمى يارسول لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون ان يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله واطعنا الرسولا بابى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كبر سنه وطول عمره فانظر الى هذه الالفاظ التى نطق بها عمر رضى الله عنه فقد تعدد فيها النداء له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضى عياض فى الشفاء والقسطلانى فى المواهب والغزالى فى الاحياء وابن الحاج فى المدخل فيبطل بها وبغيرها من الادلة قول المانعين للنداء مطلقا القائلين ان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه ان فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبتاه أجاب ربا دعاه ياأبتاه جنة الفردوس مأواه ياأبتاه الى جبريل ننعاه وفى رواية الى جبريل نعاه والنعى هو الاخبار بالموت ففى هذا الحديث أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ورثته عمته صفية بمراث كثيرة قالت فى مطلع قصيدة منها ألا يارسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا ففى هذا البيت أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ولم ينكر عليها أحد من الصحابة مع حضورهم وسماعهم له ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء واستدلوا فى ذلك الى حديث الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه وعضده شواهد كثيرة وصورته ان يقول للميت عند قبره عند دفنه يا عبد الله بن أمة الله اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور قل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا

و بمحمد ﷺ نبيا و بالكعبة قبلة و بالمسلمين اخوانا ربي الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ففي التلقين الخطاب والنداء للميت فكيف يمنعون النداء مطلقا ومن النداء للميت ماجاء في الحديث المشهور حيث نادى النبي ﷺ كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد القائهم في القليب رواه البخاري وأصحاب السنن وذكروا ان النبي ﷺ جعل يناديهم باسمائهم وأسماء آبائهم و يقول أيسركم انكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا واما ماجاء من الآثار عن الأئمة الاحبار والعلماء الاخيار والاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشيء كثير تنقضي دون نقله الاعمار ومضى على ذلك القرون والاعصار ولا وقع منهم انكار فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين بشيء قام ثبوته بالبراهين وفي الحديث الصحيح من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب الاحتياط في ذلك فلا يحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر الا بامر واضح قاطع للاسلام ورأيت رسالة للشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني صاحب الحواشي على مختصر بافضل في الفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه قال في تلك الرسالة يخاطب محمد بن عبد الوهاب حين قام بالدعوة وكان محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ محمد بن سليمان المذكور وقرأ عليه بالمدينة المنورة قال في تلك الرسالة يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فاني انصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وذكر الادلة على انه لا تأثير لغير الله تعالى فان ابى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب

من الغنم القاصية اهـ والحاصل أن هولاء المانعين للزيارة والتوسل قد تجاوزوا الحد فكفروا أكثر الامة واستحلوا دماءهم وأموالهم وجعلوهم مثل المشركين الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الناس مشركون فى توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم و بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفى زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وندائهم له بقولهم يا رسول الله نسألك الشفاعة وحملوا الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على خواص المؤمنين وعوامهم كقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال وقوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وأمثال هذه الآيات فى القرآن كثير كلها حملوا الدعاء فيها على النداء ثم حملوها على المؤمنين الموحدين وقالوا ان من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أوناداه أوسأله الشفاعة فانه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا فى عموم هذه الآيات وانهم مثل المشركين الذين كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فان المشركين ما اعتقدوا فى الاصنام التأثير وانها تخلق شيأ بل كانوا يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى

ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فاحكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم وقالوا ان التوحيد نوعان توحيد الربوبية وهو الذى اقر به المشركون وتوحيد الالوهية وهو الذى أقر به الموحدون وهو الذى يدخلك فى دين الاسلام واما توحيد الربوبية فلا يكفى وكلامهم كله باطل لان الدعاء الذى فى الايات بمعنى العبادة وهم لبسوا على الخلق وجعلوه بمعنى النداء وقد علمت بطلانه من النصوص السابقة واما جعلهم التوحيد نوعين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية فباطل أيضا فان توحيد الربوبية هو توحيد الالوهية الا ترى الى قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى ولم يقل الست باله كم فاكتفى منهم بتوحيد الربية ومن المعلوم ان من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالالوهية اذ ليس الرب غير الاله بل هو الاله بعينه وفى الحديث ان الملكين يسالان العبد فى قبره فيقولان له من ربك ولم يقولا له من الهك فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الالوهية ومن العجب ان هؤلاء القوم يأتيهم المسلم فيقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقولون له أنت لم تعرف التوحيد وتوحيدك هذا توحيد الربوبية وما عرفت توحيد الالوهية فيستحلون دمه وماله بالتلبيسات الباطلة وهل للكافر توحيد صحيح فانه لو كان للكافر توحيد صحيح لاخرجه من النار اذ لا يبقى فيها موحد فهل سمعتم أيها المسلمون فى الاحاديث والسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدمت عليه اجلاف العرب ليسلموا على يده يفصل لهم توحيد الربوبية والالوهية ويخبرهم أن توحيد الالوهية هو الذى يدخلهم فى دين الاسلام ويكتفى منهم بمجرد الشهادتين الظاهر المتلفظ ويحكم باسلامهم فهذا الافتراء والزور على الله ورسوله فان من وحد الرب فقد وحد الاله ومن أشرك بالرب أشرك بالاله فليس للمسلمين اله غير الرب فاذا قالوا لا اله الا الله انما يعتقدون انه هو ربهم فينفون الالوهية عن غيره كما ينفون الربوبية عن غيره أيضا ويثبتون له الوحدانية فى ذاته وصفاته وأفعاله

والذى أوقع المشركين فى الشرك والكفر ليس مجرد قولهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كما زعم هذا القائل بل اعتقادهم ان غير الله قد يكون الها يستحق العبادة وان كانوا يعتقدون ان الخالق والمؤثر هو الله تعالى فلما اعتقدوا ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة، أقيمت عليهم الحجة بانهم لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا ولا يخلقون وهم يخلقون قالوا انما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فاعتقاد الالوهية واستحقاق العبادة لغيره هو الذى أوقعهم فى الشرك ولم ينفعهم اعتقادهم ان الخالق والمؤثر هو الله مع وجود اعتقادهم الوهية غير الله واستحقاقه العبادة واما المسلمون فانهم لله الحمد بريئون من ذلك اذ لايعتقدون شيأ يستحق الالوهية والعبادة غير الله فهذا هو الفرق بين الحالتين واما هؤلاء الجاحدون المكفرون للمسلمين فانهم لما لم يعرفوا الفرق بين الحالتين تخبطوا وقالوا ان التوحيد نوعان توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية وتوصلوا بذلك الى تكفير المسلمين فتأمل فيما تقدم من النصوص يتضح لك الحال ان شاء الله تعالى وتعلم ان ما عليه السواد الاعظم هو الحق الذى لامحيص عنه ومما يعتقده هؤلاء الملحدة المكفرة للمسلمين ان قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر وهذا أيضا مردود فان رسول الله ﷺ أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما ان يقصدا أويسا القرنى ويسألاه الدعاء والاستغفار كما فى صحيح مسلم وأما التبرك بآثار الصالحين فقد كان الصحابة رضى الله عنهم يزدحمون على [illegible] وضوئه يتبركون به واذا تنخم أو بصق يأخذون ذلك ويتمسحون به وازدحموا على الحلاق حين حلق رأسه ﷺ واقتسموا شعره يتبركون به وشرب [illegible] دمه ﷺ لما احتجم وشربت ام ايمن بوله فقال لها صحة يا أم [illegible] ثابتة فى الاحاديث الصحيحة ولاينكر ذلك الا جاهل أو معاند بل ثبت [illegible] ﷺ [illegible] سقاية العباس رضى الله عنه ليشرب من ماء السقاية فامر العباس [illegible] ﷺ [illegible] بماء آخر من الدار غير مايشرب منه المسلمون

لانه استقذره وقال يارسول الله هذا تمسه الايدى نأتيك بماء غيره فقال لاانما أريد بركة المسلمين وما مسته أيديهم فاذا كان رسول الله ﷺ يقول ذلك فما بالك بغيره فكل مسلم له نور وبركة ولا نعتقد التأثير لغير الله تعالى فطلب بركة الصالحين بالتبرك بآثارهم ليس فيه شيء من الاشراك ولا الحرمة وانما هؤلاء القوم يلبسون على المسلمين توصلا الى اغراضهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فلا يعتقدون موحدا الا من تبعهم فيما يقولون فصار الموحدون على زعمهم اقل من كل قليل وكان محمد بن عبد الوهاب الذى ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة فى مسجد الدرعية ويقول فى كل خطبة ومن توسل بالنبي فقد كفر وكان أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم فكان ينكر عليه انكارا شديدا فى كل مايفعله أو يأمر به ولم يتبعه فى شيء مما ابتدعه وقال له اخوه سليمان يوما كم اركان الاسلام يامحمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للاسلام وقال رجل آخر يوما لمحمد بن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة فى رمضان فقال له يعتق فى كل ليلة مائة ألف وفى آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق فى الشهر كله فقال له لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ماذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن اتبعك فبهت الذى كفر ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة المنورة وألف رسالة فى الرد عليه وأرسلها له فلم ينته وألف كثير من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل فى الرد عليه وأرسلوها له فلم ينته وقال له رجل آخر مرة وكان رئيسا على قبيلة بحيث لا يقدر ان يسطو عليه ماتقول اذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وانت تعرف صدقه بان قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل فارسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا أثرا ولا أحدا منهم بل ماجاء تلك الارض أحد منهم أتصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال له ان جميع

المسلمين من العلماء الاحياء والاموات فى كتبهم يكذبون ماأتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك فلم يعرف جوابا لذلك وقال له رجل آخر مرة هذا الدين الذى جئت به متصل أم منفصل فقال له حتى مشايخى ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذن دينك منفصل لا متصل فعمن اخذته فقال وحى الهام كالخضر فقال له اذن ليس ذلك محصورا فيك كل أحد يمكنه ان يدعى وحى الالهام الذى تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فانه ذكر فيه وجهين ولم يذكر ان فاعله يكفر بل حتى الرافضة والخوارج وكافة المبتدعة يقرلون بصحة التوسل به ﷺ فلا وجه لك فى التكفير اصلا فقال له محمد بن عبد الوهاب ان عمر استسقى بالعباس فهم لم يستسق بالنبى ﷺ ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حيا وان النبى ﷺ ميت فلا يستسقى به فقال لهذلك الرجل هذا حجة عليك فان استسقاء عمر بالعباس انما كان لاعلام الناس بصحة الاستسقاء والتوسل بغير النبى ﷺ وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذى روى حديث توسل آدم بالنبى ﷺ قبل أن يخلق فالتوسل بالنبى ﷺ كان معلوما عند عمر وغيره وانما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بغير النبى ﷺ فبهت وتحير وبقى على عماوته ومقابحه الشنيعة ومن مقابحه انه لما منع الناس من زيارة النبى ﷺ خرج ناس من الاحسا وزاروا النبى ﷺ وبلغه خبرهم فلما رجعوا مروا عليه بالدرعية فامر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية الى الاحسا وبلغه مرة ان جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج ومروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن اتبعه خلوا المشركين يسيرون طريق المدينة والمسلمين يعنى اتباعه يتخلفون معنا وكان ينهى عن الصلاة على النبى ﷺ ويتأذى من سماعها وينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويؤذى من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان

مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي ﷺ في المنارة بعد الاذان فلم ينته واتى بالصلاة على النبي ﷺ فامر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة يعني الزانية أقل اثما ممن ينادي بالصلاة على النبي ﷺ في المنائر ويلبس على أصحابه بان ذلك كله محافظة على التوحيد فما أشنع قوله وما أشنع فعله وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي ﷺ ويتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد وكان يمنع اتباعه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرا منها واذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من اتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ القرآن ولا شيئا منه فيقول الذي لا يقرأ منهم لآخر يقرأ اقرأ على حتى أفسر لك فاذا قرأ عليه يفسره له برأيه وأمرهم أن يعملوا ويحكموا بما يفهمونه وجعل ذلك مقدما على كتب العلم ونصوص العلماء وكان يقول في كثير من أقوال الأئمة الاربعة ليست بشيء وتارة يتستر ويقول ان الأئمة على حق ويقدح في أتباعهم من العلماء الذين ألفوا في المذاهب الاربعة وحرروها ويقول انهم ضلوا وأضلوا وتارة يقول ان الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا نعمل الا بهما ولا نقتدي بقول مصري وشامي وهندي يعني بذلك اكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تآليف في الرد عليه فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الامة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وان كان على نص جلي أجمعت عليه الامة وكان ينتقص النبي ﷺ كثيرا بعبارات مختلفة ويزعم ان قصده المحافظة على التوحيد فمنها أن يقول انه طارش وهو في لغة أهل المشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين فمراده انه ﷺ حامل كتب أي غاية أمره انه كالطارش الذي يرسله الامير وغيره في امر لأناس ليبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها انه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت

بها كذا كذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا حتى ان اتباعه كانوا يفعلون مثل
ذلك أيضا ويقولون مثل قوله بل أقبح مما يقول ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما
انهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض اتباعه كان يقول عصاي هذه خير
من محمد لانها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا وانما
هو طارش وقد مضى قال بعض من ألف في الرد عليه ان ذلك كفر في المذاهب
الاربعة بل هو كفر عند جميع أهل الاسلام وكان محمد بن عبد الوهاب في
مبتدأ امره يطلب العلم بالمدينة وأصله من بني تميم وكان من طلبة العلم بالمدينة يتردد
بينها وبين مكة ويأخذ عن كثير من علماء المدينة منهم الشيخ محمد بن سليمان الكردي
الشافعي والشيخ محمد حياة السندي الحنفي وكان الشيخان المذكوران وغيرهما
من أشياخه يتفرسون فيه الالحاد والضلال ويقولون سيضل هذا ويضل الله به من
أبعده وأشقاه فكان الامر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه وكان والده عبد
الوهاب من علماء الصالحين فكان أيضا يتفرس في ولده المذكور الالحاد ويذمه
كثيرا ويحذر الناس منه وكذا أخوه سليمان بن عبد الوهاب فكان ينكر ما احدثه
من البدع والضلال والعقائد الزائغة وتقدم انه ألف كتابا في الرد عليه وكانت ولادة
محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١١ ألف ومائة واحد عشر وعاش عمرا طويلا
حتى بلغ عمره اثنين وتسعين سنة فانه توفي سنة ١٢٠٦ ألف ومائتين وستة
ولما تمكن منه الشيطان من السعة واستنزاله انتقل من المدينة
ورحل الى المشرق وصار يدعو الناس الى التوحيد وترك الشرك ويزخرف لهم القول
ويفهمهم ان غالب الناس مشركون ويظهر لهم عقيدته شيئا فشيئا فتبعه كثير
من جهلة الناس وعوام البوادي وكان ابتداء ظهور أمره في المشرق سنة ١١٤٣ ألف ومائة
وثلاثة وأربعين واشتهر أمره بعد الخمسين ومائة بنجد وقراها فتبعه وقام بنصرته
أمير الدرعية محمد بن سعود وجعل ذلك وسيلة الى اتساع ملكه ونفاذ أمره فحمل أهل

الدرعية على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتبعه أهل الدرعية وما حولها ومازال يطيعه على ذلك كثير من أحياء العرب حي بعد حي وقبيلة بعد قبيلة حتى قوى أمره فخافته البادية فكان يقول لهم انما أدعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله ويزين لهم القول وهم بوادي فى غاية الجهل لا يعرفون شيأ من أمور الدين فاستحسنوا ما جاءهم به وكان يقول لهم انى أدعوكم الى الدين وجميع ما هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق ومن قتل مشركا فله الجنة فتابعوه وصارت نفوسهم بهذا القول مطمئنة فكان محمد بن عبد الوهاب بينهم كالنبي فى أمته لا يتركون شيأ مما يقول ولا يفعلون شيأ الا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم واذا قتلوا انسانا أخذوا ماله وأعطوا الامير محمد بن سعود منه الخمس واقتسموا الباقى وكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء والامير محمد بن سعود ينفذ كل ما يقول حتى اتسع له الملك وكانوا قبل اتساع ملكهم وتغلب رؤسهم أرادوا الحج فى دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد وكانت ولاية الشريف مسعود امرة مكة سنة ١١٤٦ ست وأربعين ومائة وألف ووفاته سنة ١١٦٥ خمسة وستين ومائة وألف فارسلوا يستأذنونه فى الحج وغاية مرادهم اظهار عقيدتهم وحمل أهل الحرمين عليها فارسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا منهم انهم يفسدون عقائد أهل الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين وطلبوا الاذن فى الحج ولو بشىء معلوم يدفعونه كل عام يدفعونه وكان أهل الحرمين قد سمعوا بظهورهم فى نجد وافسادهم عقائد البوادى ولم يعرفوا حقيقة ذلك فلما وصل علماؤهم مكة أمر الشريف مسعود أن يناظرهم علماء الحرمين العلماء الذين بعثوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فاذا هى مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم الحجة والبرهان أمر الشريف مسعود قاضى الشرع أن يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الاول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الانذال ووضعهم فى السلاسل والاغلال فقبض منهم على جماعة وسجنهم وفر الباقون ووصلوا الى الدرعية

وأخبروا بما شاهدوا فعتا أميرهم واستكبر ونأى عن هذا المقصد وتاخر الى ان مضت دولة الشريف مسعود وتوفى سنة ١١٦٥ خمس وستين ومائة وألف وولى امارة مكة أخوه الشريف مساعد بن سعيد فارسلوا أيضا يستأذنونه فى الحج فابى وامتنع من الاذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد وتوفى سنة ١١٨٤ أربع وثمانين ومائة وألف وولى امارة مكة أخوه الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائهم فامر العلماء ان يختبروهم فاختبروهم فوجدوهم لا يتدينون الا بدين الزنادقة فابى أن يأذن لهم فى الحج ثم انتزع امارة مكة منه ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد سنة ١١٨٦ ست وثمانين ومائة وألف فارسلوا فى مدة الشريف سرور يستاذنون فى الحج فاجابهم بانكم ان أردتم الوصول آخذ منكم فى كل سنة مثل ما آخذ من الرافضة والاعجام وزيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم دفع ذلك وان يكونوا مثل الرافضة فلما توفى الشريف سرور ١٢٠٢ ألف ومائتين واثنين وولى امارة مكة أخوه الشريف غالب أرسلوا أيضا يستاذنون فى الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجهز عليهم جيشا فى سنة ١٢٠٥ ألف ومائتين وخمسة وتتابع بينه وبينهم القتال والحرب من سنة ١٢٠٥ ألف ومائتين وخمسة الى سنة ١٢٢٠ ألف ومائتين وعشرين حتى دخلوا مكة بعد ان عجز عن دفعهم ووقع بينه وبينهم وقعات كثيرة قبل دخولهم مكة يطول الكلام بذكرها كانوا فى هذه المدة اتسع ملكهم وتطاير شررهم فملكوا جزيرة العرب فملكوا أولا المشرق ثم اقاليم الاحسا والبحرين وعمان ومسكت وقرب ملكهم من بغداد والبصرة ومسكة والحرار باسرها ثم الخيوف ذوات النخل ثم الحربية والفرع وجهينة ثم ملكوا ما بين مدينة النبى ﷺ والشام حتى قرب ملكهم من الشام وحلب وملكوا العرب الذين بين الشام وحلب وبغداد وملكوا المدينة ومكة وقبل أن يملكوا مكة ملكوا القبائل التى حولها والطائف والقبائل التى حولها ولما ملكوا الطائف فى ذى القعدة سنة ١٢١٧ ألف ومائتين وسبعة

عشر قتلوا الكبير والصغير والمأمور والآمر ولم ينج الا من طال عمره وكانوا يذبحون الصغير على صدر أمه ونهبوا الاموال وسبوا النساء وفعلوا أشياء يطول الكلام بذكرها ثم قصدوا مكة فى المحرم من سنة ١٢١٨ ألف ومائتين وثمانية عشر ولم يكن للشريف طاقة لقتالهم فترك لهم مكة ونزل الى جده فخرج ناس من أهل مكة اليهم قبل دخولهم بمرحلتين وأخذوا منهم الامان لاهل مكة فدخلوها بالامان ثم توجهوا الى جدة لقتال الشريف غالب فقاتلهم وأطلق عليهم المدافع فلم يستطيعوا دخول جدة فارتحلوا الى ديارهم فى شهر صفر من سنة ١٢١٨ ألف ومائتين وثمانية عشر وابقوا بمكة من يقوم بحفظها من جماعتهم وفى شهر ربيع الاوّل من السنة المذكورة رجع الشريف غالب من جدة ومعه الباشا صاحب جدة وكثير من العساكر وأخرج من كان بمكة من جماعتهم واستولى على مكة كما كان ثم تتابع بينه وبينهم الحرب والغزوات الى سنة ١٢٢٠ عشرين ومائتين وألف فتغلبوا وملكوا جميع الاطراف وحاصروا مكة حتى اشتد البلاء وعم الغلاء وأكل الناس الكلاب والجيف ثم عقد الشريف غالب معهم الصلح فدخلوا مكة بالصلح واستمر ملكهم بها الى سنة سبع وعشرين ومائتين وألف فأمر مولانا السلطان محمود الوزير المعظم والمشير المفخم بمصر محمد على باشا فجهز عليهم الجيوش حتى أخرجهم من الحرمين ثم بعث الجيوش الى قتالهم فى ديارهم وسار مع بعض الجيوش بنفسه حتى استأصلهم وقطع دابرهم وأرخ بعض العلماء تاريخ خروجهم من مكة بقوله قطع دابر الخوارج سنة ١٢٢٧ والكلام على وقائعهم وما فعلوه بالمسلمين يطول فلا حاجة لذكره وكان الامير الاوّل محمد بن سعود فلما مات قام أولاده بعده بما قام به ولما مات محمد ابن عبد الوهاب قام أولاده أيضا بما قام به وكان الامير محمد بن سعود وأولاده اذا ملكوا قبيلة سلطوها على من دونها واقترب منهم ويسلط الاخرى على ما بعدها حتى ملك جميع القبائل واذا أراد أن يغزو بلدة من البلدان كتب لكل قبيلة يريد

مسيرها معه كتابا بقدر الخنصر يطلب منهم الحضور فيأتون اليه ومعهم جميع ما يحتاجون اليه من زاد وغيره ولا يكلفونه بشيء وليس له عسكر ولا جند ولا ديوان يحصيهم واذا انتهبوا شيأ يأخذون الاربعة الاخماس ويعطونه الخمس ويسيرون معه بينما يسير ألوفا مؤلفة لا يحصيهم الا الله تعالى ولا يستطيعون مخالفته في نقير ولا قطمير وهذه بلية ابتلى الله بها عباده وهي فتنة من أعظم الفتن التي ظهرت في الاسلام طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أولو باب العقول لبسوا فيها على الاغبياء ببعض الاشياء التي توهمهم انهم قائمون بأمر الدين وذلك مثل أمرهم البوادى باقامة الصلوات والمحافظة على الجمعة والجماعات ومنعهم من الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وقطع الطريق فامنوا الطرقات وصاروا يدعون الناس الى التوحيد فصار الاغبياء الجاهلون يستحسنون حالهم ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم المسلمين فانهم كانوا يحكمون على الناس بالكفر من منذ ستمائة سنة وغفلوا أيضا عن استباحتهم أموال الناس ودماءهم وانتهاكهم حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من مقابحهم التي ابتدعوها وكفروا الامة بها وكانوا اذا أراد أحد أن يتبعهم على دينهم طوعا أو كرها يأمرونه بالاتيان بالشهادتين أولا ثم يقولون له اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك انهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان انه كان كافرا ويسمون له جماعة من أكابر العلماء الماضين فان شهدوا بذلك قبلوهم والا أمروا بقتلهم وكانوا يصرحون بتكفير الامة من منذ ستمائة سنة وأول من صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب فتبعوه على ذلك واذا دخل انسان في دينهم وكان قد حج حجة الاسلام قبل ذلك يقولون له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك فلا تسقط عنك الحج ويسمون من اتبعهم من الخارج المهاجرين ومن كان من أهل بلدتهم يسمونهم الانصار والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب انه يدعي النبوة الا انه ما قدر على اظهار التصريح بذلك وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من

ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدي واضرابهم فكانه يضمر في نفسه دعوى النبوة ولو امكنه اظهار هذه الدعوة لاظهرها وكان يقول لاتباعه اني أتيتكم بدين جديد ويظهر ذلك من أقواله وأفعاله ولهذا كان يطعن في مذاهب الأئمة وأقوال العلماء ولم يقبل من دين نبينا ﷺ الا القرآن ويؤوله على حسب مراده مع انه انما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عنه بدليل أنه هو وأتباعه انما يؤولونه على حسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره به النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه كان لا يقول بذلك ولا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ﷺ وأقاويل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ولا بما استنبطه الأئمة من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا بالقياس الصحيح وكان يدعي الانتساب الى مذهب الامام أحمد رضي الله عنه كذبا وتسترا وزورا والامام أحمد بريء منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا في الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه كما تقدم وتمسك في تكفير المسلمين بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين وقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري انه ﷺ قال أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه ومن أعجب من ذلك كله انه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه وكان أصحابه لا يتخذون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما أمرهم ويتسترون ظاهرا بمذهب الامام أحمد ويلبسون بذلك على العامة وكان ينهى

عن الدعاء بعد الصلاة ويقول ان ذلك بدعة وانكم تطلبون بذلك أجرا وقد اعتنى
كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة للرد عليه فى كتب مبسوطة عملا بقول
النبى ﷺ اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
وبقوله ﷺ ماظهر أهل بدعة الااظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من
خلقه فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من جميع المذاهب والتزم
بعضهم فى الرد عليه باقوال الامام أحمد وأهل مذهبه وسألوه عن مسائل يعرفها أقل
طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها لانه لم يكن له تمكن فى العلوم وانما عرف هذه
النزغات التى زينها له الشيطان فمن ألف فى الرد عليه وسأله عن بعض المسائل فعجز
العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فانه ألف كتابا جليلا سماه تهكم المقلدين
بمن ادعى تجديد الدين ورد عليه فى كل مسئلة من المسائل التى ابتدعها بابلغ الرد ثم سأله
عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والادبية بسؤالات أجنبية عن الرسالة كتبها
وأرسلها له فعجز عن الجواب عن قلها فضلا عن أجلها فمن جملة ماسأله عنه قوله أسألك
عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر السورة التى هى من قصار المفصل كم فيهامن
حقيقة شرعية حقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيهامن مجاز مرسل ومجاز مركب
واستعارة حقيقية واستعارة رفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة
واستعارة مرشحة وأين الوضع والترشيح والتجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة
التخييلية وكم فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب ومافيها من المجمل
والمفصل ومافيها من الايجاز والاطناب والمساواة وما الاسناد الحقيقى والاسناد المجازى
المسمى بالمجاز الحكمى والعقلى وأى موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر
وبالعكس وما موضع ضمير الشان وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل
وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين كل جملتين متعاطفتين ومحل تناسب

الجمل و وجه التناسب ووجه كماله فى الحسن والبلاغة ومافيها من ايجاز قصر وايجاز حذف ومافيها من احتراس وتتميم و بين لناموضع كل ماذكر فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شىء مما سأله عنه وقد أخبر النبى ﷺ عن هؤلاء الخوارج فى أحاديث كثيرة فكانت تلك الاحاديث من اعلام نبوة النبى ﷺ لانها من الاخبار بالغيب وتلك الاحاديث كلها صحيحة بعضها فى صحيح البخارى ومسلم و بعضها فى غيرها فنها قوله ﷺ الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا وأشار الى المشرق وقوله ﷺ يخرج ناس من قبل المشرق و يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لايعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق انتهى والفوق بضم الفاء موضع الوتر وقوله ﷺ سيكون فى أمتى اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل و يسيؤن الفعل يقرؤن القرآن لايجاوز ايمانهم تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لايرجعون حتى يعود السهم الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أوقتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شىء من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق وقوله ﷺ سيخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون قول خير البريه يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجر لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم أناس من أمتى سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لايعودن فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء فى أهل الخيل والابل وقوله صلى الله عليه

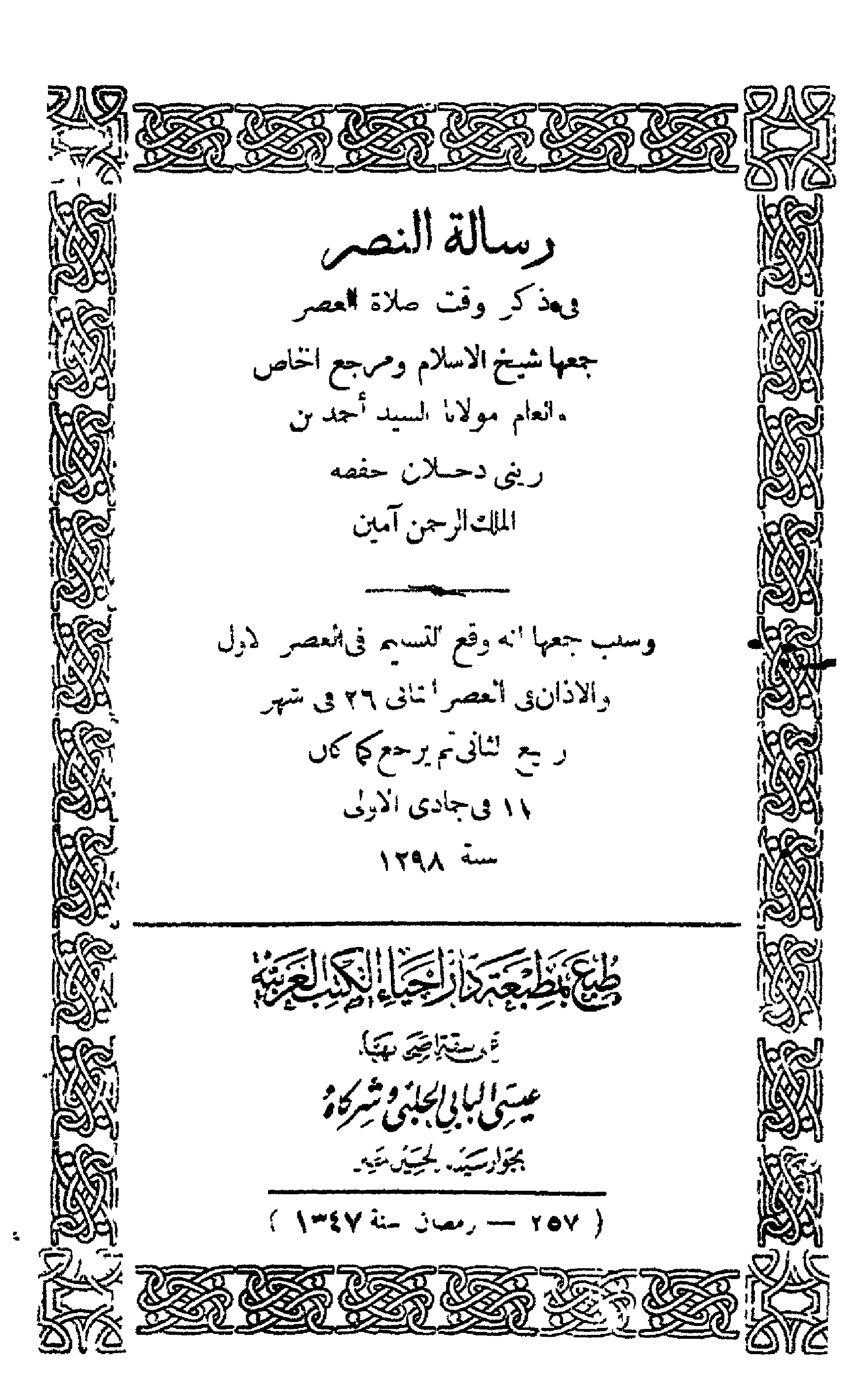
وسلم من ههنا جاءت الفتن وأشار نحو المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان فى أهل الحجاز وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا يارسول الله وفى نجدنا قال اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا وقال فى الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال وفى قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لابن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه ولايتركونه يفارق مجلسهم اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التى مضت قبلهم فالحديث صريح فيهم وكان السيد عبد الرحمن الاهدل مفتى زبيد يقول لايحتاج أن يؤلف أحد تأليفا للرد على ابن عبد الوهاب بل يكفى للرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فانه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم وكان بن عبدالوهاب يأمر أيضا بحلق رؤس النساء اللاتى يتبعنه فاقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت فى دينه كرها وجددت اسلامها على زعمه فامر بحلق رأسها فقالت له أنت تأمر الرجال بحلق رؤسهم فلو أمرت بحلق لحاهم لساغ لك أن تامر بحلق رؤس النساء لان شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذى كفر ولم يجد لها جوابا لكنه انما فعل ذلك ليصدق شيه وعلى من تبعه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فان المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق صلى الله عليه وسلم فيما قال وقوله صلى الله عليه وسلم حين أشار الى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء فى رواية قرنا الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرنى الشيطان مسيلمة الكذاب وابن عبدالوهاب وجاء فى بعض الروايات وبها يعنى نجد الداء العضال قال بعض الشراح وهو الهلاك

وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام وجاء في بعض الاحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله ﷺ منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لايبقى بيت من العرب الادخلته تصل الى جميع العرب قتلاها في النار واللسان فيها أشد من وقع السيف وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء يعني تعمى بصائر الناس فيها فلايرون مخرجا ويصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له وفي رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته وذكر العلامة السيد علوي ابن أحمد بن حسن بن القطب السيد عبد الله الحداد باعلوي في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام وهو كتاب جليل ذكر فيه جملة من الاحاديث منها حديث مروي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ سنده الى النبي ﷺ قال فيه سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور ولا يزال يلعق براطمه يكثر في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا وهي فتنة يعتز فيها الارذلون والسفل تتجارى بينهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه قال ولهذا الحديث شواهد تقوي معناه وان لم يعرف من خرجه ثم قال السيد المذكور في الكتاب الذي مر ذكره وأصرح من ذلك أن هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل انه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ان من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد فكان هذا الخارجي يقتل أهل الاسلام ويدع أهل الاوثان وقد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل الجدمة الذي أدعهم رأوا حيث سببهم فقال علي رضي الله عنه كلا

والذي نفسي بيده ان منهم لمن هو في أصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال وجاء في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه ان واديهم لايزال وادي فتن الى آخر الدهر ولا يزال في فتنة من كذابهم الى يوم القيامة وفي رواية ويل لليمامة ويل لافراق له وفي حديث ذكره في مشكاة المصابيح سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بمالم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لايضلونكم ولا يفتنونكم وأنزل الله في بني تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون وأنزل الله فيهم أيضا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي قال السيد علوي الحداد المذكور آنفا ان الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل شيء كثير ويكفيك أن أغلب الخوارج وأكثرهم منهم وأن الطاغية ابن عبد الوهاب منهم وأن رئيس الفرقة الباغية عبد العزيز بن محمد بن سعود بن وائل منهم وجاء عنه ﷺ أنه قال كنت في مبدأ الرسالة أعرض نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جوابا أقبح ولا أخبث من رد بني حنيفة قال السيد علوي الحداد لما وصلت الطائف لزيارة حبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي فأخبرني أنه ألف كتابا في الرد على هذه الطائفة سماه الانتصار للأولياء الأبرار لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدي قلبه وأما من دخلت في قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخاري يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه [illegible] عن بعض العلماء انه استصوب من فعل النجدي جمع الناس على الصلاة وترك الفواحش الظاهرة وقطع الطريق والدعوة الى التوحيد [illegible] حيث حسن للناس فعله ولم يطلع على ما ذكرناه من منكراته الكثيرة [illegible] وحرق الكتب الكثيرة وقتله كثيرا من العلماء والخواص والعوام واستباحة دمائهم وأموالهم

واظهار التجسيم للباري تبارك وتعالى وعقده الدروس لذلك وتنقيصه النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والمرسلين والاولياء ونبش قبورهم وأمر في الاحساء أن تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب والاذكار ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعواه النبوة ويفهمهم ذلك من فحوى كلامه ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يقسم الزكاة على هواه وكان يعتقد أن الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه وان الخلق كلهم مشركون وكان يصرح في مجالسه وخطبه بتكفير المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء وزعم أن من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يلتفت الى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام وسيدا ولا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا لسيدكم يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه ويمنع من زيارة النبي ﷺ ويجعله كغيره من الاموات وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس بهذه العلوم ويقول ان ذلك بدعة ثم قال السيد علوي الحداد في كتابه المتقدم ذكره والحاصل أن المحقق عندنا من أقواله وأفعاله مايوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحلاله أموالا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وتنقيصهم عمدا كفر باجماع الائمة الاربعة اهـ وتقدم أنه عاش من العمر ثنتين وتسعين سنة لان ولادته كانت سنة أحد عشر ومائة وألف وهلاكه سنة ألف ومئتين وستة وأرخ بعضهم وفاته بقوله بدا هلاك الخبيث ١٢٠٦ وخلف أولادا قاموا بالدعوة بعده عبدالله وحسن وحسين وعلى وكانوا يقال لهم أولاد الشيخ وكان عبدالله أكبرهم فقام بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبدالرحمن وكان سليمان متعصبا أكثر من أبيه فقتله ابراهيم باشا سنة ألف

ومائتين وثلاثة وثلاثين وقبض على عبد الرحمن وبعثه الى مصر فعاش مدة بمصر ثم مات بمصر وأما حسين بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولي قضاء مكة في بعض السنين التي كانوا يحكمون فيها بمكة وعاش عبد الرحمن دهرا طويلا حتى قارب المائة ومات قريبا خلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد بن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين ولم يزل نسلهم باقيا الى الآن بالدرعية يعرفون باولاد الشيخ ونسأل الله أن يهديهم للصواب (لطيفة) كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير اسمه الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد تلك البلدة فاتفق أن اثنين تجادلا في شأن هذه الطائفة بعد ما جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحد الرجلين المتجادلين لابد أن يرجع أمر هذا الدين كما كان وترجع هذه الدولة كما كانت وقال الآخر لايرجع أمرهم أبدا كما كان ولاما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا على أنهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار وينظران ماذا يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى ويجعلان ذلك فالا يحكمان به فيما اختلفا فيه فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون فتعجبا من ذلك ورضيا بذلك الفال حكما والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



رسالة النصر

فى ذكر وقت صلاة العصر

جمعها شيخ الاسلام ومرجع الخاص

والعام مولانا السيد أحمد بن

زيني دحلان حفظه

الملك الرحمن آمين

وسبب جمعها انه وقع التسليم فى العصر الاول

والاذان فى العصر الثانى ٢٦ فى شهر

ربيع الثانى ثم يرجع كما كان

١١ فى جمادى الاولى

سنة ١٢٩٨

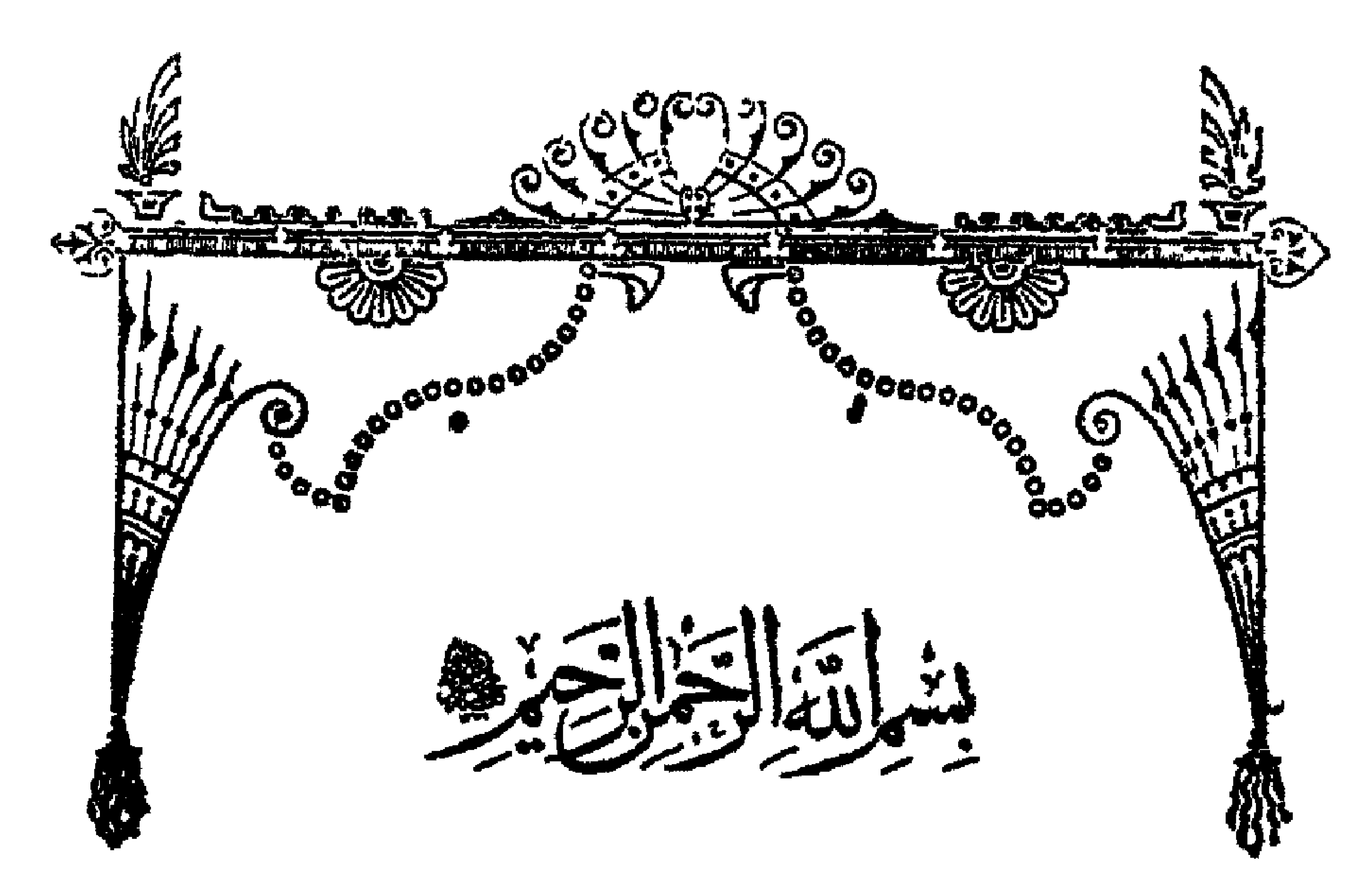
طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية

لاصحابها

عيسى البابى الحلبى وشركاه

بجوار سيدنا الحسين بمصر

(٢٥٧ — رمضان سنة ١٣٤٧)



الحمد لله وحده وصلى وسلم على من لا نبي بعده ما قولكم دام فضلكم في الحاكم الشرعي المولى من طرف مولانا السلطان الاعظم لتنفيذ الاحكام الشرعية في بلد الله الحرام اذا أمر باداء صلاة العصر في وقت العصر الثاني وهو مصير الظل مثليه ومنع من أدائها في وقت العصر الاول وهو مصير الظل مثله بعد ظل الاستواء والمراد انه منع من أدائها جماعة في المسجد الحرام وحكم بذلك هل يكون حكمه واجب الاتباع ولا يجوز مخالفته على قول الامام الهمام الشافعي ويرتفع الخلاف بحكم الحاكم الشرعي والحال ما ذكر أفتونا مأجورين

اللهم اني أسألك هداية الصواب

اعلم رحمك الله ان ائمتنا الشافعية رحمهم الله ذكروا شروطا لحكم الحاكم الشرعي الذي لا يجوز نقضه ويرتفع به الخلاف منها أن يبنى على دعوى وجواب فلو كان بغير سبق دعوى لم يكن حكما بل هو افتاء مجرد وهو لا يرفع الخلاف ومنها كما في شرح الروض لشيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله ان لا تظهر الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في خلاف حكمه بحيث يبعد فيها التأويل ومسئلة صلاة العصر عند مصير الظل مثله قد كثرت فيها الاحاديث الصحيحة واعتمدها الائمة وتواتر العمل بها في الاعصار والامصار

وقد ذكر أئمتنا كثيرا من تلك الاحاديث التي استدل بها القائلون بان وقت العصر عند مصير الظل مثله ولنذكر بعضا مما ذكروه فمن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري ومسلم وبقية أصحاب السنن وهو ان النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء من حجرتها وهو مروي بروايات لا حاجة الى الاطالة بذكرها قال النووي في شرح مسلم ومعناها كلها التبكير بالعصر في أول وقتها وهو حين يصير ظل كل شيء مثله وكانت الحجرة ضيقة العرصة قصيرة الجدار بحيث يكون طول جدارها أقل من مساحة العرصة بشيء يسير فاذا صار ظل الجدار مثله دخل وقت العصر وتكون الشمس بعد في أواخر العرصة لم يقع الفيء في الجدار الشرقي وكل الروايات محمولة على ماذكرناه قال الزرقاني في شرح الموطأ وحديث عائشة رضي الله عنها يشعر بمواظبة النبي ﷺ على صلاة العصر في أول الوقت وروى مسلم في صحيحه من رواية سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية وروى مسلم أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذاهب الى العوالي فيأتي العوالي والشمس مرتفعة ورواه أيضا كثير من أصحاب السنن قال الزرقاني والعوالي مختلفة المسافة فاقربها الى المدينة ما كان على ميلين أو ثلاثة ومنها ما يكون على ثمانية أميال ومثل حديث انس هذا مروي عند الطبراني من حديث جابر وعند الدارقطني من حديث محمد بن جرير وعند أبي يعلى من حديث البراء بن عازب وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال صلى لنا رسول الله ﷺ العصر فلما انصرف أتاه رجل من بني سلمة فقال يارسول الله انا نريد أن ننحر جزورا لنا ونحب أن تحضرها قال نعم فانطلق وانطلقنا معه فوجدنا الجزور لم تنحر فنحرت ثم قطعت ثم طبخ منها ثم أكلنا قبل أن تغيب الشمس وفي رواية لمسلم أيضا عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال كنا نصلي العصر مع رسول الله ﷺ ثم ننحر الجزور فتقسم عشر قسم ثم تطبخ فنأكل لحما نضيجا قبل أن تغيب

الشمس وروى الامام مالك في الموطا والبخاري في صحيحه حديث ابي مسعود الانصاري على المغيرة بن شعبة في تأخيره صلاة العصر لما كان اميرا على الكوفة ورواه ابن خزيمة والطبراني وفيه فينصرف الرجل من الصلاة فيأتي ذا الحليفة قبل غروب الشمس وروى الامام مالك في الموطا ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عماله ان يصلوا العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية قدر ما يسير الراكب فرسخين او ثلاثة قبل غروب الشمس قال النووي في شرح مسلم والمراد بهذه الاحاديث المبادرة بصلاة العصر اول وقتها لانه لا يمكن ان يذهب بعد صلاة العصر ميلين او ثلاثة والشمس لم تتغير الا اذا صلى العصر حين كان ظل الشيء مثله ثم قال وفي هذه الاحاديث دليل لمذهب الجمهور ان وقت العصر يدخل اذا صار ظل كل شيء مثله وقال الامام الترمذي في جامعه بتعجيل صلاة العصر هو الذي اختاره اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعائشة وانس رضي الله عنهم وغيرهم ... اذا علمت ذلك تعلم أن الحكم بالمنع من صلاة العصر وقت ... في المسجد الحرام أو غيره مخالف لهذه ... ويمنع لاسيما وعمل الناس في الاعصار ... هو الراجح يكون ... مرجوح مع وفور وجود العلماء في كل عصر ... الشرع لتشريف ... أقامه مولانا ... في ... العثمانية لاسيما أهل الاستانة ... العصر ... أهل الاسلام ... أهل مكة ... الاسلامية فان ذلك يؤدي الى الافتراق وعدم ... الاسلامية على سنن وطريق واحد فان ذلك

موجب للاتحاد واتفاق الكلمة وائتلاف القلوب والرفق بجميع المسلمين وأيضا
مازالت الدولة العلية تراعي أهل المذاهب الاربعة في تأدية ديانتهم على مذاهبهم
لاسيما في الحرمين الشريفين فكيف يليق ان نأمر الآن بالعمل بخلاف مذاهبهم
وأيضا يلزم من الزامهم بالعمل بالعصر الثاني حصول محذور كبير وهو ان بعض
الملحدة قد يتكلم ويشيع ان أهل مكة افسدوا على المسلمين دينهم حيث انهم
افسدوا صلاة العصر لبقية أهل الاسلام التي كانت تصلى قبل دخول وقت العصر" الخ
وأيضا نقول بالعصر الثاني وان كان ظاهر الرواية عن الامام الاعظم رضي الله
عنه لكنه له قول آخر موافق للأئمة الثلاثة وهو القول بالعصر الاول حتى ذكر
من أصحابه لاحدى عنه ورجحه كثيرون منهم كما في الدر المختار قال وعليه
الناس واليوم يفتى وهي حال الناس في هذا العصر الآن على العمل بالعصر
الاول لأن أحاديثه كثيرة صحيحة وفي العمل به رفق بالناس وفي العصر الثاني خلاف
كثير بين العلماء في مذهب فمن عمل به من يقول يكره التأخير فيه ومنهم من
يقول يحرم التأخير اليه ومنهم من يقول يخرج به وقت العصر وقولهم ان ظاهر
الرواية مرجح مقيد عندهم بما اذا لم يصحح ما يقابله فقد صحح القول بالعصر الاول
كثيرون منهم وقالوا وبه يفتى وعليه الفتوى ولم يكن عمل الناس على خلافه
وهنا عمل الناس على خلاف العصر الثاني وكذلك فهم قد نصوا على ان
الصاحبين فيه هذا مذهبه اذا لم يكن عمل الناس على قولهما والا فهو
على قولهما كما قالوه في وقت العشاء ان الامام يخرج وقت العشاء بغيبوبة الشفق
الابيض وقالا في ذلك وقت العشاء بغيبوبة الشفق
الأحمر فقالوا فرجح قولهما لان عمل الناس على قولهما اذا تقرر هذا فلا
مرية في انه لا يقول بها الا قال به الصاحبان فعملوا فهم على قولهما وعملوا به الى
عمل الناس عليه وقال كثير منهم بترجيحه في صلاة العصر والترجيح علامة ان

نجيم للقول بالعصر الثاني فانه مخالف لعمل الناس وكلامه متناقض حيث اعترف بانه يقدم قولهما اذا كان عمل الناس عليه فكيف يرجح قول الامام وعمل الناس على خلافه وفي شرح العلامة العيني وهو من أكابر علماء الحنفية على صحيح البخاري اعتراض على النووي حيث قال في شرح مسلم وقال أبو حنيفة لايدخل أي وقت العصر حتى يصير ظل كل شئ مثليه فتعقبه العلامة العيني في شرحه المذكور بان الحنفية لم يقولوا بذلك وانما هو رواية أسد بن عمرو وحده عن أبي حنيفة وروى الحسن عنه أن أول وقت العصر اذا صار ظل كل شئ مثله وهو قول أبي يوسف ومحمد وزفر واختاره الطحاوي فهذا الكلام من الامام العيني أقل مايدل عليه انه يرجح القول بان وقت العصر اذا صار ظل كل شئ مثله وقد وقفت على سؤال وجواب لمولانا العالم الفاضل الشيخ محمد امين البالي الحنفي مفتي المدينة المنورة الآن على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أفتى فيه بترجيح العمل بالعصر الاول ونصهما ماقولكم ساداتنا علماء الحنفية هل المعتمد المفتى به في مذهب سيدنا الامام الاعظم هو رواية العصر الاول التي نحاها أصحابه الاربعة وعليها عمل جميع مراكز أهل الاسلام وهي الارفق بالعباد أو رواية العصر الثاني أوهما بمرتبة واحدة في الاعتماد والصحة في الفتوى والعمل المسئلة واقعة حل أفتونا مأجورين

(الجواب)

(بسم ممد الكون نستمد التوفيق والعون)

حيث خالف كذلك فرواية العصر الثاني قول الامام وهو الصحيح والمختار وظاهر الرواية ورواية العصر الاول قول الصاحبين ورواية عن الامام وهو قول زفر والأئمة الثلاثة وبه يفتى وهو الاظهر وبه نأخذ وعليه العمل واستظهر صاحب رد المحتار أن الكلمتين الاخيرتين مساويتان للفظ الفتوى وأنت خبير بان لفظ الفتوى مرجح على غيره من ألفاظ التصحيح كما في رسم المفتي والمسئلة مبسوطة في معتمدات المذهب وحيث كان قولهما

مصرحا بأن به يفتى و به نأخذ وعليه عمل الناس يكون هو المفتى به فى المذهب والله سبحانه وتعالى أعلم نمقه الفقير محمد أمين البالى الحنفى

مفتى المدينة المنورة حالا

عفا الله تعالى

عنه

وها أنا أنقل اليك ما اطلعت عليه فى كتب ساداتنا الحنفية مما يتعلق بهذه المسئلة وان كان ذلك فضولا منى حملنى عليه الرغبة فى زوال الاشتباه ثم يعرض ذلك على مولانا شيخ الاسلام وعلى بقية علماء أهل المشرق والمغرب من السادة الحنفية وغيرهم ليميزوا الخطا من الصواب ويحصل بذلك ان شاء الله تعالى اتحاد أهل الاسلام على طريق واحد وتتفق كلمتهم وتأتلف قلوبهم ولا ينسب خطا فى العمل للسابقين منهم واللاحقين قال فى تنوير الابصار وشرحه الدر المختار ووقت الظهر من زواله أى ميل ذكاء عن كبد السماء الى بلوغ الظل مثليه وعنه مثله وهو قولهما وزفر والأئمة الثلاثة قال الامام الطحاوى وبه نأخذ وفى غرر الاذكار وهو المأخوذ به وفى البرهان وهو الاظهر لبيان جبريل وهو نص فى الباب وفى الفيض وعليه عمل الناس اليوم وبه يفتى اهـ لكن قال محشيه العلامة ابن عابدين رحمه الله عند قوله وهو نص ما نصه فيه ان الادلة تكافأت ولم يظهر ضعف دليل الامام بل أدلته قوية أيضا كما يعلم من مراجعة المطولات وشرح المنية وقد قال فى البحر لا يعدل عن قول الامام الى قولهما أو قول أحدهما الا لضرورة من ضعف دليل أو تعامل بخلافه كالمزارعة وان صرح المشايخ بان الفتوى على قولهما كما هنا اهـ وأقر العلامة المذكور كلام صاحب البحر هنا كما ترى وناقشه فى كتاب القضاء من الحاشية المذكورة بما نصه وفى فتاوى ابن الشلبى لا يعدل عن قول الامام الا اذا صرح أحد من المشايخ بان الفتوى على قول غيره وبهذا سقط ما بحثه فى البحر من ان علينا الافتاء بقول الامام وان أفتى المشايخ بخلافه وقد اعترضه محشيه الخير الرملى بما معناه ان المفتى حقيقة هو المجتهد وأما

غيره فاقل لقول المجتهد فكيف يجب علينا الافتاء بقول الامام وان أفتى المشايخ بخلافه ونحن انما نحكي فتواهم لاغير اه أقول وحيث كان بحث صاحب البحر ساقطا فلا ينبغي التشبث به عند الفتوى بل ينبغي النظر في ألفاظ الترجيح لكل من القولين فما صرح المشايخ بأن الفتوى عليه لايعدل عنه الى غيره وقد صرح صاحب الفيض بقوله وعليه عمل الناس اليوم وبه يفتى وصرح الطحاوي بقوله وبه ناخذ وصاحب غرر الاذكار بقوله وهو المأخوذ به وصاحب البرهان بقوله وهو الاظهر قال العلامه ابن عابدين طاب ثراه عند قول صاحب الدر المختار وقال شيخنا الرملي في فتاويه وبعض الالفاظ آكد من بعض فلفظ الفتوى آكد من لفظ الصحيح والاصح والاشبه وغيرها ولفظ وبه يفتى آكد من الفتوى عليه ما نصه قوله فلفظ الفتوى أي اللفظ الذي فيه حروف الفتوى الاصلية باي صيغة عبر بها آكد من لفظ الصحيح الى آخره لان مقابل الصحيح والاصح ونحوه قد يكون هو المفتى به لكونه هو الاحوط أو الارفق بالناس أو الموافق لتعاملهم وغير ذلك مما يراه المرجحون في المذهب داعيا الى الافتاء به فاذا صرحوا بلفظ الفتوى في قول علم انه الماخوذ به ويظهر لي ان لفظ وبه نأخذ وعليه العمل مساو للفظ الفتوى وكذا بالاولى لفظ وعليه عمل الامة لانه يفيد الاجماع قوله وغيرها كالاحوط والاظهر وفي الضياء المعنوي في مستحبات الصلاة لفظة الفتوى آكد وأبلغ من لفظ المختار اه كلامه اذا علمت هذا ظهر لك ان ألفاظ الترجيح لقول الامام على ما ذكر في حاشية ابن عابدين كلها دون الالفاظ التي تقدم ذكرها وهذا نص عبارة الحاشية المذكورة التي كتبها على قول الامام قوله الى بلوغ الظل مثليه هذا ظاهر الرواية عن الامام نهاية وهو الصحيح بدائع ومحيط وينابيع وهو المختار غياثية واختاره الامام المحبوبي وعول عليه النسفي وصدر الشريعة تصحيح قاسم واختاره أصحاب المتون وارتضاه الشارحون فقول الطحاوي وبقولهما ناخذ لايدل على أنه المذهب ومافي الفيض من أنه يفتى بقولهما في العصر والعشاء مسلم في العشاء فقط على مافيه وتمامه في البحر اه ولاتنسى ماتقدم

من ان اللفظ الذى فيه حروف الفتوى باى صيغية عبر بها آكد من الصحيح ولفظة المختار وغيرها وان لفظ و به نأخذ مساو للفظ الفتوى وأما قوله وهذا ظاهر الرواية المقتضى عدم العدول عنه الى غيره فهو مقيد بما اذا لم يصحح مقابله كما فى رد المحتار كيف وقد صرح العلماء بانه الذى يفتى به هذا وقد قال فى الدر المختار فى وقف البحر متى كان فى المسئلة قولان مصححان جاز الافتاء والقضاء باحدهما قال محشيه بن عابدين رحمه الله قوله وفى وقف البحر هذا محمول على ما اذا لم يكن لفظ التصحيح فى أحدهما آكد من الآخر كما أفاده الحلبى أى فلا يخير بل يتبع الآكد اه أقول فتحصل من هذا كله ان لفظ التصحيح لقولهما آكد منه لقول الامام فليكن قولهما المتبع فى الافتاء لاسيما والتعامل عليه فى أكثر بلاد المسلمين كما هو عليه فى انتهاء وقت المغرب بغروب الشفق وهو الحمرة دون البياض الذى هو قول الامام قال فى رد المحتار قال فى الاختيار الشفق البياض وهو مذهب الصديق ومعاذ بن جبل وعائشة رضى الله عنهم أجمعين ورواه عبد الرزاق عن أبى هريرة وعن عمر بن عبد العزيز ولم يره البيهقى الشفق الاحمر الا عن ابن عمر رضى الله عنهما وتمامه فيه واذا تعارض الاخبار والآثار فلا يخرج وقت المغرب بالشك كما فى الهداية وغيرها قال العلامة قاسم فثبت أن قول الامام هو الاصح ومشى عليه فى البحر مؤيدا له بما قدمناه عنه من أنه لا يعدل عن قول الامام الا لضرورة من ضعف دليل أو تعامل بخلافه كالمزارعة لكن تعامل الناس اليوم فى عامة البلاد على قولهما وقد أيده فى النهر تبعا للنقاية والوقاية والدرر والاصلاح ودرر البحار والامداد والمواهب وشرحه البرهان وغيرهم مصرحين بان عليه الفتوى وفى السراج قولهما أوسع وقوله أحوط اه أقول فكما عدل عن قول الامام رحمه الله فى الفتوى فى العشاء مع أنه أحوط الى قولهما لتعامل الناس عليه فكذا ما نحن بصدده وهو العصر ويؤيده ما تقدم نقله عن الدر المختار وما نقل عن العلامة نوح من قوله لا يؤخذ بكل ما قال فى الفيض و به يفتى لعله محمول على ما اذا لم ينقل عن غيره ما يؤيده لما علمت من موافقة غيره له فى التصريح بالفتوى على قولهما فى وقت

بما هو مساو للفظ الفتوى فى وقت العصر كما تقدم ذكره على ان ماقاله العلامة
نوح يحتمل أنه مبنى على ما بحثه فى البحر وقد علمت سقوطه ومتى كان كلام العلامة
نوح محتملا لما ذكرناه سقط الاستدلال به ثم لايخفى أن العلامة زين بن نجيم صاحب
البحر معترف فى بحره بان المشايخ صرحوا بان الفتوى على قولهما فى وقت العصر حيث
قال لا يعدل عن قول الامام الى قولهما أو قول أحدهما الا لضرورة من ضعف دليل أو تعامل
بخلافه كالمزارعة وان صرح المشايخ بان الفتوى على قولهما كما هنا اه فما نقل عنه من
قوله فى رسالته رفع الغشاء مانصه وأما ما نقله بعض حنفية زماننا من أن الفتوى على قولهما
فعلى تقدير وجوده فهو فى كتاب غير مشهور وغير المشهور لايجوز الافتاء بما فيه الى آخر
ما نقل عنه مناف لما اعترف به هو نفسه فى بحره بقوله وان صرح المشايخ بان الفتوى على
قولهما كما هنا على أن كلام العلامة علاء الدين الحصكفى فى ديباجة كتابه الدر المختار يفيد
أن الفيض كتاب مشهور فى المذهب حيث قال وما مرلى من الناظر فيه أن ينظر بعين
الرضا والاستبصار وان يتلافى تلافه بقدر الامكان الى أن قال لكن يا أخى بعد الوقوف
على حقيقة الحال والاطلاع على ما حرره المتأخرون كصاحب البحر والنهر والفيض الى
آخره فتبين من هذا أن الفيض من الكتب المحررة المشهورة وان معتمد صاحب البحر
فى هذه المسئلة بحثه المتقدم ذكره وقد تقدم ما فيه وعلمت سقوطه ثم اعلم أن الفروع التى
عدل فى الافتاء بها عن قول الامام الى قولهما وان كانت يسيرة كما نصوا عليه فاى مانع
من دخول مسئلتنا فيها كما تقدم نقله عن الدر المختار لا بل هى كثيرة فى حد ذاتها يسيرة
بالنسبة الى غيرها والافتاء بقولهما افتاء بقوله قال فى تنقيح الحامدية فى بحث الحكم الملفق
ما نصه فان أقوال أبى يوسف ومحمد وغيرهما مبنية على قواعد أبى حنيفة أو هى أقوال
مروية عنه وانما نسبت اليهم لا لانه لاستنباطهم لها من قواعده أو لاختيارهم اياها كما
وضحت ذلك فى صدر حاشيتى على الدر المختار الى أن قال ثم رأيت فى فتاوى العلامة أمين
الدين عبد العال ما نصه ومتى أخذ المفتى بقول أحد من أصحاب أبى حنيفة يعلم قطعا أن

القول الذي أخذ به هو قول أبي حنيفة فانه روى عن جميع أصحاب أبي حنيفة الكبار كأبي يوسف ومحمد وزفر والحسن انهم قالوا ما قلنا في مسئلة قولا الا هو رواية عن أبي حنيفة رضي الله عنه واقسموا عليه أيمانا غلاظا فان كان الامر كذلك والحالة هذه لم يتحقق بحمد الله تعالى في الفقه جواب ولا مذهب الا له كيفما كان وما نسب الى غيره الا مجازا وهو كقول القائل قولي قوله ومذهبي مذهبه اه

وفي المواهب اللطيفة شرح مسند الامام أبي حنيفة رضي الله عنه للشيخ عبد السندي مانصه وقد ألف الشيخ ابن نجيم صاحب البحر الرائق رسالة لتاييد مذهب الامام في هذه المسئلة واستدل على مطلوبه بادلة متعددة وأجاب عنها الشيخ أبو الحسن السندي في حاشية فتح القدير لابن الهمام لكن لما رأيت رجوع الامام الى قول الجمهور ما وسعني ذكرتي من الادلة والجواب عنها روما للاختصار مع انه روي في المسئلة المذكورة عن الامام روايات متعددة فمنها رواية صيرورة الظل مثلين ومنها رواية المثل الى أن قال وذكر في خزانة الروايات ناقلا عن ملتقى البحار ان أبا حنيفة رحمه الله قد رجع في خروج وقت الظهر ودخول وقت العصر الى قولهما وممن نقل أيضا رجوع الامام الى قول صاحبيه صاحب الفتاوى الشافي وصاحب كتاب الانيس وصاحب الجوهر المنير شرح تنوير الابصار وذكره أيضا في زيادات الهندواني على مستدرك الشيباني في باب ما يحل كله وما لا يحل وقال قد صح رجوع أبي حنيفة عن قوله لا يحل أكل لحم الخيل وخروج وقت الظهر ودخول وقت العصر وعن أشياء عددها وممن نقل رجوع أيضا صاحب الصراط القويم وان كان هذا القدر مقررا في رجوع الامام وانضم الى ذلك قول هل المذهب اذا كان الامام في جانب وصاحباه في جانب فالمفتي بالخيار ان شاء أفتى بقول الصاحبين كان الرجوع الى قول الجمهور واجب وأما قول صاحب البحر لا نفتي ولا نعمل الا بقول الامام الاعظم وان أفتى المفتون بخلافه فذلك محله فيما لم تختلف الرواية في تلك المسئلة عن الامام ولم ينقل عنه الرجوع والا فحين اختلفت الروايات عنه وكانت احداهما مما يتمسك به

صاحبيه ويرويانه عن الامام فمن أفتى بقولهما فانما أفتى بقول الامام لانهما اخبرا ورويا ان من قول الامام لا برأى لهما مجرد عن قول الامام فتنبه اهـ والحاصل أنه على تقدير عدم رجوع الامام الاعظم رضى الله عنه عن القول بالعصر الثانى فالرواية الاخرى عنه بالعصر الاول لها مرجحات كثيرة لاسيما وقد أخذ بها أكثر أصحابه الآخذين عنه بلا واسطة كابى يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد فهم أعرف الناس باقواله من غيرهم فترجيحهم يقدم على ترجيح غيرهم لاسيما وذلك هو الذى اختاره جماهير علماء المسلمين وهو الارفق بالمؤمنين وعليه عمل أكثر أمصار الاسلام على مر الليالى والايام ومن جملتهم أهل البلد الامين فان عملهم عليه فيما مضى من السنين فاذا خالفوا الآن ذلك العمل ومنعوا من الصلاة فى العصر الاول وألزموا الناس بالاذان والصلاة فى العصر الثانى كان ذلك مناقضا لما كانوا عليه وما عليه أكثر أهل الاسلام فيوجب ذلك أن عملهم الاول مع عمل أكثر أهل الاسلام باطل أجرى على مرجوح مع وجود العلماء فى كل عصر ومصر ولا يقول به عاقل فضلا عن فاضل وأيضا اذا خالف عمل أهل البلد الحرام عمل أكثر أهل الامصار كان ذلك سببا للافتراق وعدم الاتحاد ولا شك أن بقاءهم على ما كانوا عليه هو موجب لتحاد الكلمة وائتلاف القلوب بل انتقالهم للعمل بالعصر الثانى موجب للافتراق أهل البلد الحرام بقطع النظر عن غيرهم من البلدان لانه اجتمع فى البلد الحرام أهل المذاهب الاربعة وفى عصرنا فى اختلاف كثير فى المذاهب فمن العلماء من يقول بخروج وقت العصر آخر مثليه ومنهم من يقول يحرم التأخير اليه ومنهم من يقول يكره فاذا ألزموا بتأخير الاذان والاقامة فى مسجد الحرام الى العصر الثانى اقتضى ذلك ان كثيرا من الناس المقيمين فى مسجد الحرام يصلون فى العصر الاول فرادى أو جماعات متفرقة بعد ان كانوا يصلون مع الامام الاول فى جمع عظيم فان منعوا من الصلاة جماعة فى العصر الاول كان منعهم غير جائز ويكون سببا لاضطراب كثير وأيضا ان الدولة العلية أدام الله نصرها على البرية أقامت أئمة من أهل المذاهب الاربعة وجعلت لهم

وظائف ومرتبات ومن المعلوم بالضرورة أن ذلك اذن لهم في الاذان والصلاة على مذاهبهم كل منهم يكون على مذهبه لا على مذهب غيره كما كان عملهم جار يا قبل الآن فكيف يمنعون الآن من العمل على مقتضى مذاهبهم في الاذان والصلاة فاذا كانوا باقين على ما كانوا عليه قبل الآن تزول هذه المحذورات ويصونون جمع عظيم مع الامام الاول كما كانوا قبل الآن ويكون عملهم موافقا لعمل أكثر أهل الاسلام ويكون ذلك من سبب الاتفاق والائتلاف وعدم الافتراق ولا شك أن ذلك هو الاصلح للاسلام والمسلمين ولو لم يكن من المرجحات للعمل بالعصر الاول الا هذا لكان كافيا من غير احتياج الى مرجح آخر كيف وقد تقدم كثير من المرجحات فالواجب على متعاطي الفتوى النظر الى كثرة المرجحات مع مراعاة ما هو الاصلح للاسلام

بين ولأنه من أعظم المرجحات وليحذر من الفتوى بما يوجب التفرق وعدم اتفاق الأمة مع وجود قول صحيح يوجب الاتحاد والاتفاق فقد اتضح وظهر الجواب عن سؤال السائل بأنه لا يجوز منع من أراد الاذان والصلاة في العصر الاول ولا يجوز أيضا

أن يجعل بدل الاذان الصلاة والسلام على النبي ﷺ على المنائر لان الشرع

جعل للاذان ألفاظا مخصوصة لا يجوز ابدالها بغيرها فمن أفتى بجواز ذلك فعليه

بيان النص والا فقد أخطأ في فتواه هذا ما ظهر في هذه القضية ونعم أمانة

في أعناق العلماء وليعرض ذلك على العلماء من أهل الحرمين

وغيرهم ليميزوا ويأخذوا من صوب وفوق كل ذي علم عليم

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بحمد الله تم طبع كتاب الدرر السنية فى الرد على الوهابية وكتاب النصر فى ذكر وقت صلاة العصر تأليف الامام الهمام مفتى الخاص والعام وشيخ الاسلام بالمسجد الحرام السيد احمد بن زينى دحلان جعل الله مقره الجنان فقد أتى فى كتابيه هذين بالادلة الواضحة والبراهين القطعية على تأييد مدعاه ودحض حجة خصمه بالطريقتين العقلية والنقلية مع سلوك الادب عند الرد على خصومه وهذا دليل على أدبه الجم وعلمه الغزير وذلك بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر مصححا بمعرفة لجنة التصحيح بها

فى شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٧

هجريه على صاحبها أفضل

الصلاة وأتم التحية

آمين

